

هاليريا لويسلي

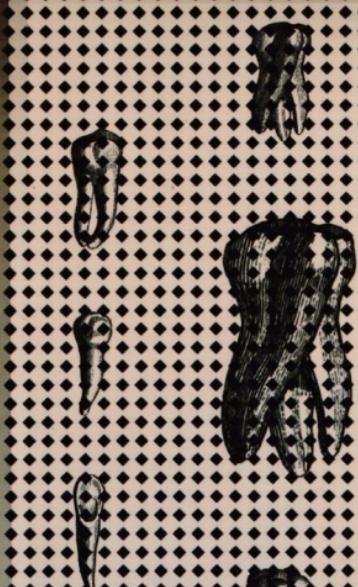
منفذ

أسنانني



مكتبة

ترجمة: عبر عبد الواحد



«أنا أفضل بائع بالمزاد العلني في العالم، ولكن لا أحد يعلم هذا لأنني من النوع المُتحفّظ الكَتوم. أسمى غوستافو سانشيز سانشيز، وإن كان الناس يدعونني بـ«الطريق السريع»، بداعٍ من المودة على ما أعتقد. ولدتُ في باتشوكا، مدينة الرياح الجميلة، ولدي أربعة من الأسنان السابقة لأوانها، وكان جسدي مغطى بالكامل بطقة رقيقة للغاية من الزَّغَب. ولكنني مُمتنٌ لتلك البداية المشؤومة، لأنَّ القباحة كما اعتادَ عمي الآخر يوربيديس لوبيز سانشيز أن يقول هي مُكونة للشخصية».

«الطريق السريع» هو مسافرٌ حول العالم، وَسَاجٌ قصص، وجامعٌ للأشياء والحكايا، وبائعٌ أسطوريٌّ في المزاد العلني. أغلى مُقتنياته والأثيرة على قلبه هي أسنان مشاهير «سيئي الشّمعة»، مثل أفلاطون وبترارك وفيرجينيا وولف. كَتِبَتْ «قصة أسناني» بالتعاون مع العمال في مصنع خوميسكس للعصير، وهي عبارة عن مَرْحٍ فَكِهٍ ذكيٍّ وسَارٍ عبر الضواحي الصناعية في مكسيكو سيتي، وتأثيرات لوبيزلي الأدبية الخاصة والمميزة.

«لو أَنَّ فيلا- ماتاس، وأَيْرا، وبورخيس (جميعهم ظهروا في الحكاية) قد تعاونوا فيما بينهم لوضع كتاب يدور حول بائع في المزاد العلني يقصّ القصص وشغوف في الأدب، لربمارأينا شيئاً مثل قصة أسناني. فهي منفردة في نوعها من الناحية الأسلوبية، إلا أنها متجلّرة في الإرث الغني لأدب أميركا اللاتينية الفَكِه والتلميحي. كمثل شخصيتها الرئيسة، غوستافو سانشيز سانشيز، فإنَّ قصة أسناني، هي في الوقت ذاته، غامضة ومميزة وأخّاذة وساحرة بمبهجة».

جيرمي غاربر



قصة أسناني



Author: **Valeria Luiselli**

اسم المؤلف: فاليريا لويسيلي

Title: **The Story of My Teeth**

عنوان الكتاب: قصة أسناني

Translated by: **Abeer Abdelwahed**

ترجمة: عبير عبد الواحد

P.C.: **Al-Mada**

الناشر: دار المدى

First Edition: **2022**

الطبعة الأولى: **2022**

جميع الحقوق محفوظة: دار المدى

Copyright © Valeria Luiselli, 2013, 2015



للإعلام والثقافة والفنون
Al-mada for media, culture and arts

٩٦٤ (٠) ٧٧٠ ٢٧٩٩ ٩٩٩ | ٩٦٤ (٠) ٧٨٠ ٨٠٨ ٠٨٠

بغداد: حي أبو نواس - محلة ١٠٢ - شارع ١٣ - بناية ١٤١

٩٦٤ (٠) ٧٩٠ ١٩١٩ ٢٩٠

Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع ٢٩ آيار

بيروت: بشامون - شارع المدارس

Damascus: Karjeh Haddad Street - from 29 Ayar Street

Beirut: Bchamoun - Schools Street

٩٦٣ ١١ ٢٣٢ ٢٢٧٦ | ٩٦٣ ١١ ٢٣٢ ٢٢٧٥

٩٦١ ١٧٥ ٢٦١٧

٩٦١ ٧٠٦ ١٥٠١٧

٩٦٣ ١١ ٢٣٢ ٢٢٨٩ | ص.ب: ٨٢٧٢

٩٦١ ١٧٥ ٢٦١٦

فاليريا لويزلي

مكتبة

t.me/soramnqraa

قصة أسناني

ترجمة : عبير عبد الواحد



حول المؤلفة

ولدت فاليريا لوبيزيللي في مكسيكو سيتي سنة 1983، وترعرعت في كوريا الجنوبية وجنوب إفريقيا والهند. بعد حصولها على إجازة في الفلسفة من الجامعة الوطنية المستقلة في المكسيك، انتقلت لوبيزيللي إلى نيويورك سيتي حيث أتمّت دراسة الأدب المقارن في جامعة كولومبيا ونالت شهادة الدكتوراه. تعمل حالياً في تدريس الأدب والكتابة الإبداعية في جامعة هوستون في نيويورك. تُعدّ لوبيزيللي واحدة من أبرز الأصوات في الأدب المكسيكي المعاصر، حازت جوائز عدّة عن أعمالها التخييلية والواقعية، من بينها جائزتان من جوائز لوس أنجلوس تايمز للكتاب، بالإضافة إلى جائزة الكتاب الأميركي. وقد رُشحت مرتين لجائزة دائرة نقاد الكتب الوطنية، وجائزة مراجعات كيركوس لأفضل الكتب الأدبية. ونالت أيضاً جائزة زماله ماك آرثر سنة 2019، وجائزة راثبون فوليyo الأدبية سنة 2020. كما حازت جائزة دبلن الأدبية المرموقة سنة 2021 عن روایتها أرشيف الأطفال المفقودين التي سلطت الضوء على أزمة المهاجرين المكسيكيين غير الشرعيين. تُرجمت كُتبها إلى أكثر من عشرين لغة. من أعمالها: «وجوه في الزحام»، «أرصفة» وهي مجموعة مقالات، و«قل لي كيف تكون النهاية: مقالة من أربعين سؤالاً»، و«قصة أسنانى»، و«أرشيف الأطفال المفقودين».

إِشَادَاتٌ بِالْكِتَابِ

«إن قصة أنساني لهيَ مَرَح صاحبُ، حزين وماكر (نعم، مَرَح صاحب)، فهي تعيدُ إلى الأذهان قوَّة القصص العظيمة وتأثيرها، وبالأخص تلك التي نقول لأنفسنا إزاءها، وبإصرارٍ مُطلق، بلى إننا نُصدِّق». .

• ستيفن سباركس،

كتُب التفاح الأخضر في الحديقة.

«من يسِير معرفة لماذا وقع اختيار مؤسسة الكتب الوطنية على فاليريا لوينزلي بصفتها واحدة من الخمسة المكرمين الذين تقلّ أعمارهم عن الخامسة والثلاثين عاماً. من خلال بعض فقرات فقط من روايتها الجديدة، قصة أنساني، سوف تنجدب بالكلية إلى عالم غوستافو سانشيز سانشيز -الذي يُدعى أيضًا بالطريق السريع- المدهشة. هذه القصة الآسرة زاخرة بشخصيات ومواقف فريدة، ولكن ما يثير الاهتمام أكثر هو ما يَظهر في المشهد الخلفي من القصة؛ ألا وهو كيفية كتابة هذا العمل بالتعاون مع العمال في مصنع العصير خوميكس في مكسيكيو سيتي».

• شون دونلي، كُتب باول.

«لو أنَّ بيلا - ماتاس، وأيرا، وبورخيس (جميعهم ظهروا في الحكاية) قد تعاونوا فيما بينهم لوضع كتاب يدور حول بائع في المزاد العلني يقصّ القصص وشغوف في الأدب، لربمارأينا شيئاً مثلَ قصة أسناني. فهي منفردة في نوعها من الناحية الأسلوبية، إلا أنها متجلّرة في الإرث الغني للأدب أميركا اللاتينية الفكِّه والتلميحيّ. كمثل شخصيتها الرئيسة، غوستاڤو سانشيز سانشيز، فإنَّ قصة أسناني، هي في الوقت ذاته، غامضة ومميزة وأخاذة وساحرة بصورة مبهجة».

• جيرمي غاربر.

استهلال

بِقَلْمِ مؤْلِفَةِ الْكِتَابِ (مُقتَبِسٌ مِنْ الْخَاتَمَةِ)

«ينبغي القول إنَّ أشياءً كثيرة قد تغيرت في هذا الكتاب منذُ الأجزاء الأولى التي قرأها العمال في المصنع، وحتى تُسخنه النهاية هذه باللغة الإنكليزية. في حقيقة الأمر، الكتاب الإسباني مختلفٌ أيضًا عن الكتاب الإنكليزي، كما هو الحال مع كُتبِي السابقة، التي راجعتها وأعدتُ كتابتها بالإنكليزية بصورة شاملة، لدرجة أنني أفضّل اعتبارها إصدارات أكثر منها ترجمات. فضلاً عن ذلك، تحتوي هذه النسخة الإنكليزية «كتيبًا» مكتوبًا بالكامل بقلم مُترجمتي السيدة كريستينا ماكسويني. إن خطَّها الزمنيَّ لهوَ خريطة وفهرس ومسرُدٌ للكتاب، الأمر الذي يزعزع القول المأثور والمتقادم حول وجوب احتجاب المترجم، ويقترح نمطًا جديًّا للتعامل مع الترجمة؛ فهو من جهة لا يعتمد على تقرير الكاتب من القارئ - من خلال تبسيط النص المترجم وتمويهه - ولا على تقرير القارئ من الكاتب - بواسطة تحويل النص إلى نوع من «الإنكليزية الدخيلة». بدأ هذا الكتاب ضمن إطارٍ تعاونيٍّ، وأحبُّ اعتبار الأمر على أنه تعاون مستمر، حيث كل طبقة جديدة تُعَدِّل المحتوى بأكمله».

• فاليريا لوبيزلي

إلى طاقم العاملين في مصنع خوميكس

الفهرس

5.....	حول المؤلفة
7.....	إشادات بالكتاب
9.....	استهلال: بقلم مؤلفة الكتاب
15	الكتاب الأول: القصة (البداية، العرض، النهاية)
39	الكتاب الثاني: المبالغات
67	الكتاب الثالث: الاستعارات
87	الكتاب الرابع: المواربات والإيحاءات
103.....	الكتاب الخامس: المجازات
125.....	الكتاب السادس: الإضمارات
143.....	الكتاب السابع: التسلسل الزمني بقلم كريستينا ماكسويني
155.....	خاتمة
159.....	تنويه بالمصادر

الكتاب الأول

القصة

(البداية، العرض، النهاية)

قد يُسمّى المرء جون لأن هذا هو اسم أبيه، وقد تُسمّى المدينة دارتماوث لأنها تقع عند مصب نهر الدّارت. ولكن ذلك لا يحمل جزءاً من دلالة الكلمة جون؛ لأن يكون والد الشخص المدعى كذلك يحمل الاسم نفسه، ولا في الكلمة دارتماوث، بكونها واقعة على مصب نهر الدّارت.

• جي. إس. ميل

(جون ستيفوارت ميل)

أنا أفضل بائع بالمزاد العلني في العالم، ولكن لا أحد يعلم هذا لأنني من النوع المُتحفّظ الكَتوُم. أسمي غوستافو سانشيز سانشيز، وإن كان الناس يدعوني بـ «الطريق السريع – Highway»، بداعٍ من المودة على ما أعتقد. يمكنني تقليد جانيس جوبلين⁽¹⁾ بعد كأسين من الرّوم. وبمقدورٍ تفسير كعك الحظ الصّيني. أستطيع إيقاف بيضة على رأسها على الطاولة مثلما فعل كريستوف كولومبوس

- جانيس جوبلين (1943-1970): مغنية وكاتبة أغاني أميريكية، عُرفت بأنها السيدة الأولى في موسيقى الروك آند رول.

* (جميع الهوامش الورادة في الكتاب من وضع المترجمة).

في القصة الشهيرة. وأعرف كيف أعدُّ إلى ثمانية باليابانية: إتش، نبي، سَن، شِي،
غو، روک، شيتش، هاتشي. كما بإمكانني أن أطفو على ظهي.

هذه قصة أسنانى، ورسالتى حول المقتنيات والقيمة المتغيرة للأشياء.
ومثل أي قصة أخرى تبدأ هذه القصة بالبداية، ثم يأتي صلب القصة، ثم
النهاية. وما تبقى، كما يقول صديقى دوماً، هو الأدب بما فيه من مبالغات
 واستعارات وموارibات وإيحاءات ومجازات وإضمارات لغوية. ولا أعلم
 ما الذى يأتي بعد ذلك. ربما الخزي والموت، وأخيراً شهرة ما بعد الممات.
 وفي تلك المرحلة لن أكون في مقام المتحدث بصيغة المتكلّم. سأكون
 رجلاً ميتاً، رجلاً سعيداً محسوداً.

البعض يمتلك الحظ، والبعض يتمتع بالجاذبية. ولقد حظيت بالقليل من
 الاثنين. كان عمى سولون سانشيز فويتس⁽¹⁾، وهو بائع يتاجر بأربطة العنق
 الإيطالية فائقة الجودة، يقول لي دوماً: «إن الجمال والقوة والنجاح المبكر
 تفني جميعاً، وإنها تُشكّل عيّناً على كاهل أولئك الذين يمتلكونها، لأن احتمال
 خسارتها يُمثل تهديداً قليلاً من يستطيعون احتماله». وما كان عليّ أن أقلق بشأن
 ذلك قط، إذ لم يكن من شيء سريع الزوال في طبيعتي. لدى صفات دائمة فقط.
 ورثت من عمى سولون كل جاذبيته، كما ترك لي أيضاً ربطه عنق إيطالية أنيقة.
 وهي بحسب قوله كل ما أحتاجه كي أصير رجلاً كريماً النسب.

ولدت في باتشوكا، المدينة الجميلة ذات الهواء الطلق،ولي أربع من
 الأسنان السابقة لأوانها، وكان جسدي مغضّى بالكامل بطبة رقيقة جداً من
 الرّغب. ولكنني ممتن لتلك البداية المشؤومة، لأن القباحة كما اعتاد عمى الآخر
 يوربيديس لوبيز سانشيز⁽²⁾ أن يقول هي مكوّنة للشخصية. عندما رأني أبي للمرة

- 1- كارلوس فويتس ماسياس: (1928-2012) روائي وعالم اجتماع ودبلوماسي مكسيكي، يُعدُّ واحداً من أهم كتاب أمريكا اللاتينية في نهاية القرن العشرين في الرواية والمقال. رُشح لنيل جائزة نوبل في الأدب عدة مرات.

- 2- يوربيديس: شاعر وروائي مسرحي يوناني ولد في سالاميس سنة 480 ق.م وتوفي في مقدونيا سنة 406 ق.م. كان يوربيديس معاصرًا للروائين اليونانيين إسخيلوس وسوفوكليس، وكان ثلاثة من أشهر روائيي اليونان القديمة كتب يوربيديس عدداً كبيراً من المسرحيات، من أشهرها: أليسستيس، وميديا، وهيبوليتوس، وأوريستيس، والكترا.

الأولى ادعى أن ابنه الحقيقي أخذته الأم الواضعة حديثاً في الغرفة المجاورة. حاول بشتى الوسائل، من بiero وقراطية وابتزاز وترهيب، إعادتي إلى الممرضة التي سلمتني لها. ولكنّ أمي حملتني بين ذراعيها في اللحظة التي رأته فيها؛ وكانت أسمراً ومتورّماً صغير الحجم، ومرتجفاً مثل سمكة الفقاعة في بطانية المستشفى. كانت أمي قد دُربت على تقبل القذارة مصيراً لها، ولكن أبي لا.

شرحـت الممرضة لوالدي أن وجود الأسنان الأربع كانت حالة نادرة في بلدنا، لكنها حالة شائعة بين الأعراق الأخرى. وهي تُسمى بالأسنان الخلقية قبل الولادة.

- أيّ نوع من الأعراق؟ سأل أبي مُتحفزاً للدفاع. قالت الممرضة: القوقازيّ يا سيدـي.

- ولكنـ هذا الطفل داكنٌ مثل عين الإبرة، أجابـ أبي.

- علمـ الوراثة مليءـ بالمعجزاتـ يا سيدـ سانشيزـ.

لا بدـ أنـ هذهـ الجملـةـ قدـ وـاـسـتـ أبيـ. إذـ أجـبـرـ نفسهـ أخـيرـاًـ عـلـىـ حـمـليـ بـيـنـ ذـرـاعـيـهـ إـلـىـ الـبـيـتـ، مـلـفـوـقـاـ فـيـ بـطـانـيـةـ سـمـيـكـةـ مـنـ القـطـنـ النـاعـمـ.

بعد ولادي بوقتٍ قصير انتقلنا إلى إيكاتيبيك، حيث عملت أمي في الخدمة بالبيوت سعياً وراء أسباب العيش. ولم يكن أبي يُنظف شيئاً، لا ولا حتى أظافره! كانت أظافره سميكة، خشنة، وسوداء. وكان يقلّمها عادة بفمه. ليس من التوتر، ولكن لأنـهـ كانـ تـنـبـلاـ وـمـتـعـجـرـفـاـ. بينما كنتـ أؤـديـ واجـباتـيـ المـدرـسيـةـ عـلـىـ الطـاـوـلـةـ، كانـ يـتـمـعـنـ فـيـ أـظـافـرـهـ صـامـتاـ، مـُسـتـلـقـيـاـ بـجـانـبـ المـرـوـحةـ عـلـىـ الـكـرـسـيـ المـخـمـلـيـ الـأـخـضـرـ الذـيـ وـرـثـهـ أمـيـ مـنـ السـيـدـ خـوليـوـ كـورـتـاـئـارـ⁽¹⁾ـ، جـارـنـاـ فـيـ المـبـنـىـ 4ـAـ، الذـيـ توـقـيـ بـمـرـضـ الـكـزـازـ. عـنـدـمـاـ قـدـمـ أـبـنـاءـ السـيـدـ كـورـتـاـئـارـ لـأـخـذـ مـمـتـلـكـاتـهـ، تـرـكـواـ لـنـاـ بـيـغـاءـ كـريـتـيرـياـ، الذـيـ حلـتـ بـهـ حـالـةـ مـنـ الـحـزـنـ وـقـضـىـ نـحـبـهـ بـعـدـ بـضـعـةـ أـسـابـعـ، وـالـكـرـسـيـ المـخـمـلـيـ الـأـخـضـرـ الذـيـ أـخـذـ أبيـ عـلـىـ عـاتـقـهـ الـاسـتـرـخـاءـ عـلـيـهـ كـلـ مـسـاءـ. ذـاهـلـاـ عـنـ الـعـالـمـ، كانـ يـمـعـنـ النـظـرـ فـيـ بـقـعـ الرـطـوبـةـ بـالـسـقـفـ بـيـنـماـ يـسـتـمـعـ إـلـىـ الرـادـيوـ الـمـحـلـيـ وـيـنـتـزـعـ قـطـعاـ مـنـ أـظـافـرـهـ، إـلـصـبـعـ تـلـوـ إـلـصـبـعـ.

1- خوليـوـ كـورـتـاـئـارـ(1914ـ1984)ـ: مـفـكـرـ وـكـاتـبـ وـمـتـرـجـمـ أـرـجـتـيـنيـ. يـعـدـ وـاحـدـاـ مـنـ أـكـثـرـ كـتـابـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ تـجـدـيـداـ وـأـصـالـةـ.

مبتدئاً بإصبعه الصغيرة، كان يضغط على زاوية الظفر بقواطعه المركزية العلوية منها والسفلى، ويقطع شظية صغيرة، وفي حركة واحدة، يمزق الهلال من الظفر النامي. وبعد انتزاع الشظية يُقيها في فمه بضع ثوان، يُقلّب لسانه، ويلفظها؛ فتنفذُ وتستقر على دفتر واجباتي المنزلي. كانت الكلاب تنبح في الخارج بالشارع. فيما أتأمل قلامة الظفر الملقاة هناك، ميتة وقدرة، على بعد بضعة مليمترات من طرف قلمي الرصاص. ثم كنتُ أرسم دائرة حولها، وأواصل القيام بالتمارين الكتابية بعد ذلك، مُتجنّباً الدائرة بعناء. وهكذا، استمررتُ تُتف الأظافر بالتساقط من السماء على دفترى المسطر، مثل نيازك مدفوعة بالتيار الهوائي المنبعث من المروحة: إصبع الخاتم، والوسطى، والسبابة، وأخيراً الإبهام. ثم أظافر اليد الأخرى. واستمررتُ في رصّ الحروف حول الحفر الصغيرة المحاطة بدواتر والتي خلفتها قاذورات أبي المتطاير على الصفحة. كنتُ عندما أنتهي من واجباتي أملمُ الأظافر في كومة صغيرة وأضعها في جيب سروالي، وفي غرفتي أضعها في مظروف ورقى أحفظ به تحت وسادتي. أثناء طفولتي، كانت مجموعة الأظافر كبيرة جدًا للدرجة أنني ملأت بها عدة مظاريف. نهاية الذكرى.

ولم يُعد لأبي آية أسنان. أو أظافر، ولا وجه حتى. حُرقت جثته قبل عامين، وبناءً على طلبه، نشرنا أنا وأمي رماده في خليج أكابولكو. وبعدها بعام دفتُ أمي إلى جانب شقيقاتها وأشقائهما في باتشوكا، مدينة الرياح الجميلة. تهطل الأمطار هناك على الدوام، وبالكاد ينفردُ الوقتُ بِنسمة هواءٍ واحدة. أسافر إلى باتشوكا لرؤيتها مرة كل شهر، في أيام الأحد عادة. لكنني لا أتخطى بعد ذاك المقبرة، لأنني أعاني من حساسية من غبار الطلع، وهناك يوجد الكثير من الزهور. أترجّل من الحافلة في مكان غير بعيد من البوابات، عند الجادة الجميلة المزينة بتماثيل الديناصورات بالحجم الطبيعي، وأمكث هناك بين الوحوش الوديعة المصنوعة من الألياف الزجاجية، منقوعاً بالمطر، أصلّي وأقول يا أبانا إلى أن تتوّرم قدماي، وينال مني التعب. ثم أغلقْ عائداً عبر الشارع، مُتفادياً بعناء يُقْعِ الماء المستدير - مثل الحفر في دفتر طفولتي - وأنظر الحافلة لتعيدني إلى المحطة.

أول وظيفة لي كانت في كشك بيع الجرائد لدى روبين دارييو⁽¹⁾، على ناصية شارع أسيتيز وميتاليز (الزيوت والمعادن). كان لي من العمر ثمانية أعوام، وقد سقطت كل أسنانه اللبنية، واستبدلـت بأسنان أخرى، عريضة كما المعاول، كل واحدة منها متوجهة في اتجاه مختلف. كانت آزول، زوجة مديرـي، أول صديق حقيقي أحظى به، وإن كانت تكبرني بعشرين سنة. كان زوجها يُبقيها حبيسة البيت. وفي الحادية عشرة من كل صباح يُرسلني إلى البيت مع مجموعة من المفاتيح لأرى ما الذي تصنعه آزول، ولكي أسأـلـها إن كانت تود إحضار أي شيء لها من المجال التجارية.

وعادةً ما تكون آزول مُستلقية في سريرها بملابسها الداخلية، والسيد أونامونو⁽²⁾ يعتليها. والسيد أونامونو هذا رجلٌ هرمٌ غريب الأطوار له صدر حمامـة، وكان له برنامج في الإذاعة العامة. يفتح برنامجه دوماً بالعبارة نفسها: «معكم أونامونو، المكتتب على نحو طفيف، الاصطفائي على نحو جذاب، السياسي على نحو متعاطف». أبله! عندما كنت ألحـن الغرفة كان السيد أونامونو ينتفضـ واقفاً، يدـس قميصـه، ويزـرـ بنطالـه يـتـخـبـطـ. وكـنـتـ، في الأثنـاءـ، أحـمـلـقـ في الأرضـ، وفي بعض الأحيـانـ، أنـظـرـ من طـرفـ عـينـيـ إلىـ آزـولـ، التيـ تـبـقـيـ مـسـتـلـقـيـةـ عـلـىـ السـرـيرـ، مـحـدـقـةـ بـالـسـقـفـ، وـتـمـرـرـ رـؤـوسـ أـصـابـعـهاـ عـلـىـ بـطـنـهـ العـارـيـ.

حينـماـ يـفرـغـ منـ اـرـتـدـاءـ مـلـابـسـهـ بـالـكـامـلـ، وـيـرـتـديـ نـظـارـتـهـ، كانـ السـيدـ أـونـامـونـوـ يـأـتـيـ إـلـيـ وـيـنـقـرـنـيـ عـلـىـ جـبـنـيـ بـرـاحـةـ كـفـهـ.

- ألم تتعلم كيف تطرق الباب أيها الشارع؟

وقد دأبت آزول على القدوم للدفاع عنـيـ: - اسمـةـ الطـرـيقـ السـرـيعـ، وـهـوـ

1- روبين داريـوـ (1867ـ1916): أمـيرـ الـحـرـوفـ الـقـشـتـالـيـةـ. شـاعـرـ وـصـحـفيـ وـسـيـاسـيـ نـيـكارـاغـويـ، وـهـوـ الـمـمـثـلـ الرـئـيـسـ لـلـتـيـارـ الـأـدـبـيـ الـحـدـيـثـ فـيـ الـلـغـةـ الـإـسـپـانـيـةـ. يـطـلـقـ عـلـيـهـ أـمـيـرـ الـأـدـبـ الـإـسـپـانـيـ أوـ الـأـبـ الـرـوـحـيـ لـلـشـعـرـ الـحـدـيـثـ. مـنـ أـشـهـرـ أـعـمـالـهـ «أـغـانـيـ الـحـيـاةـ وـالـأـمـلـ».

2- مـيـغـيلـ دـيـ أـونـامـونـوـ (1864ـ1936): فـيـلـيـسـوـفـ وـشـاعـرـ وـرـوـائـيـ وـمـؤـلـفـ تمـثـيلـيـاتـ إـسـپـانـيـ. إـضـافـةـ إـلـيـ كـتـبـهـ الـكـثـيرـةـ، كـتـبـ مـاـ يـزـيدـ عـنـ 3000ـ مـقـالـةـ قـصـيـرةـ، وـقـدـ اـكـتـسـبـ عـدـاءـ أـرـبعـ حـكـومـاتـ مـتـتـالـيـةـ بـسـبـبـ نـقـدـهـ السـيـاسـيـ الـجـرـيـءـ.

صديقي. ثمّ كانت بعد ذلك تضحك ضاحكة ودّية بسيطة، كاشفة عن أنني اطّول على نحوٍ محرج، برؤوسها المسطحة.

بعد أن ينسلل السيد أونامونو أخيراً من الباب الخلفي - وكلهُ قلقٌ وَنَدَمْ - كانت آزول تلفُّ نفسها بملاءة، مثل رداء الأبطال الخارقين، ثم تدعوني للقفز على السرير. وعندما نتعب، كنا نستلقي على السرير ونلعب بلياردو الجيب. كانت تعاملني بمنتهى اللطف دوماً. عندما كنا ننتهي من لعبتنا كانت تعطيني شريحة من الخبز، وكيس مياهٍ معدنية وقصّة، ثم ترسلني ثانية إلى كشك بيع الجرائد. على طريق الإياب، كنتُ أشربُ الماء وأضع القصّة في جيبي لوقتٍ لاحق. في النهاية جمعتُ ما يربو على عشرة آلاف قشّة، أقسمُ بشرفي!

كان السيد دارييو يسألني عندما أعودُ إلى الكشك: ما الذي كانت تفعله آزول؟ وكنتُ أتسّرُّ عليها باختلاقي تفاصيل بعض الأنشطة البريئة، لأنّ أقول: كانت تلضمُ الخيط في الإبرة لإصلاح ثوب تعميد طفل ابنة عمّها.

- أية ابنة عم؟

- لم تقل.

- لا بدّ أنها ساندرا أو بيرتا. هاك إكراميتك، والآن اذهب إلى المدرسة. أنهيتُ المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية، وانقضتِ درجات جيدة دون أن يلاحظها أحد، لأنني من النوع الذي لا يثير المشاكل. لم أفتح فمي قطّ، ولا حتى لتلبية تفقد الأسماء في الطابور. وما كان صمتي مخافةً أن يروا أسنانِي الموجّة، وإنما لأنني من النوع المتّحفظ الحذر. تعلّمتُ كثيراً من الأشياء في المدرسة. نهاية البداية.

في سنّ الحادية والعشرين حصلتُ على وظيفة حارس أمن في أحد المصانع في فيادي موريروس، نظراً للتحفظ ذاته، على ما أظنّ. كان المصنع يتّجّ العصائر. والعصائر بدورها تُتّجّ الفن. بمعنى أن أرباح مبيعات العصير مؤلّت أكبر مجموعة فنية في القارة. وقد كان عملاً جيداً منذ ذلك الحين، مع أنني كنتُ مسؤولاً فقط عن حراسة مدخل المصنع، ولم يكن يُسمح لي قط بالدخول إلى صالة العرض حيثُ تُعرض الأعمال الفنية، كنتُ بمنزلة سادنٍ لطائفة من الأشياء امتازتِ بالصدق والجمال الحقيقي. عملتُ هناك

مدة تسعه عشر عاماً. فإذا ما نحينا جانبًا ستة شهور كنـت مصاباً فيها بالتهاب في الكبد، وثلاثة أيام عانيت فيها من تسوس أسنان مريع ليتهي بي الحال بمعالجة مزدوجة لقناة جذر السن، وإجازتي السنوية، فأكون بهذا أنفقت بالضبط ثمانية عشر عاماً وثلاثة أشهر بعملي حارس أمن بالمصنع. لم تكن أعواماً عسيرة، ولكنها في المقابل لم تكن طيبة، ولكن في يوم من الأيام، أدارت فورتنا ^(١) عجلتها، مثلما يقول المغني نابليون ^(٢). ففي اليوم الأول من عيد ميلادي الأربعين، أصيب عامل البسترة بنوبة هلع أثناء استقباله ساعي الــDHL، وهو رجل مكتنز متوسط الطول. لم يشهد سكريتير مشرف البوليمرات نوبة هلع من قبل، واعتقد أن الساعي المتوسط القامة كان يعتدي على **مشغل البسترة**، ذلك أن زميله في العمل كان قد وضع يديه على عنقه، واستحال لونه أرجوانياً كالبرقوقة، شخص يبصره إلى الأعلى، وآخر على قفاه، متداعياً على الأرض مفروداً الأطراف.

أمرني مدير خدمة العملاء بإلقاء القبض على ساعي DHL المتوسط القامة. امثلاً لطلبه، توجهت مباشرة إلى المجرم المزعوم. كان صديقي القديم وزميلي في العمل إل بيرو، داخلاً لتوه من الباب، ركض نحونا وساعدني في ثبيت ساعي المتوسط القامة على الأرض. ولكنني عندما ضربت ساعي على عموده الفقري برأس هراوتي -لم تكن ضربة شديدة بالفعل- راح يبكي بكاء تعيساً. تركه إل بيرو وشأنه، فهو بالتأكيد ليس سادياً بطبيعة. بينما كنت أدفع ساعي إلى بوابة الخروج، سأله بنبرة أكثر لطافة، عن هويته. رفع يده عالياً، ثم دس اليـد الأخرى في جيـبه وأخرج محفظته. ثم، بيـد مرفوعة، سحبـ باليد الأخرى شهادة السـواقة وـناولـهاـ ليـ، غير قادرـ علىـ النـظر فيـ عينـيـ مباشرـةـ. وكانـ مكتـوبـاـ علىـ بـطاـقةـ: آفـيلـينـوـ لـيسـبرـ⁽³⁾ـ -ـاسـمـ سـخـيفـ! طـلبـ منـيـ مديرـ خـدمـةـ العـملـاءـ التـوجـهـ فـورـاـ لإـعـانـةـ زـمـيلـيـ المـحـضـرـ،

ـ 1- فورتنا أو عجلة الحظ / القدر: مفهوم انتشر في الفلسفة القديمة وفلسفة العصور الوسطى للإشارة إلى الطبيعة المتقلبة للقدر. تُنسب عجلة الحظ أو القدر إلى الإلهة فورتنا التي تدبر العجلة بعشوائة.

-2- خوسيه ماريا نابليون (1950): مغني وملحن وكاتب أغان مكسيكي.

3- تلميح إلى الكاتبة والمؤرخة والناقدة الفنية المكسيكية آتشيلينا ليسير (1973).

لأنه كان ما يزال ممددًا على الأرض وعاجزاً عن التنفس. أخبرت الساعي المتوسط القامة أنه بإمكانه الذهاب - وإن كان في الحقيقة، كل ما فعله هو الوقوف هناك والبكاء، بإمكانك القول إنه استحمل بدموعه - ثم ركضت باتجاه مُشغل البسترة، مستخدماً طرف هراوتي لأشق الطريق من بين جمهرة المترجين الفضوليين. ركعت بجانبه، وحملته بين ذراعيّ، وكان الحل الأمثل هو أن احتضنته بصمت حتى انتهاء النوبة. وفي الأثناء، كان إل بورو يحاول التهدئة من روع ساعي الـ DHL، إلى أن هدأ هو الآخر أيضًا.

في اليوم التالي، استدعاني المدير إلى مكتبه، وأبلغني بأنني سوف أترقى. قال لي على انفراد، إن الحراس من الدرجة الثانية، وأنت رجل من الدرجة الأولى.

منذ ذلك الحين، قرر كبار التنفيذيين أنه سيكون لدى كرسيّ ومكتب خاص بي، وستكون وظيفتي عبارة عن توفير الراحة والمواساة لمن يطلبها من طاقم العاملين.

«ستكون المشرف على أزمات الموظفين لدينا»، قال المدير بابتسامة خبيثة يمتاز بها أولئك الذين ترددوا مراراً على عيادة طبيب الأسنان.

مر أسبوعان، وبما أن عامل البسترة كان في إجازة مؤقتة، لم يكن هناك أحد في حاجة إلى مواساة. كان المصنع قد وظف حارساً جديداً، وهو رجل سمين، متظارفٌ ومفترطٌ في الحماس والتودّد، اسمه هوتشيمين⁽¹⁾، وكان يمضي اليوم كله في محاولة تجاذب أطراف الحديث مع الناس. الكِتمان ميزة قلة هم الذين يقدرونها. كنت أعاينه باستعلاء من مكتبي الجديد. كنت قد أعطيت كرسيّاً دواراً قابلاً لضبط ارتفاعه، وطاولة مكتب مع درج احتوى على تشكيلة رائعة من الأربطة المطاطية ومشابك الورق. في كل يوم، كنت أضع واحدة منها في جيب سروالي وأأخذها إلى البيت. في نهاية المطاف تمكنت من تكديس مجموعة لائقة منها.

- 1 - هوتشيمين: تلميح إلى الزعيم الفيتنامي هو تشي منه (1890-1969)، المؤسس والرئيس الأول للدولة الفيتنامية الشمالية، ورائد النهضة القومية في الهند الصينية. يعتبر في الفيتنام بطلاً قومياً، هزم ثلاث دول عظمى، وحرر بلاده ثلاث مرات.

لكن الأيام لم تكن كلها بثلاط زهرٍ مُخملية وسُجّبًا من المارشميلو، كما يقول المغني نابليون. إذ إن بعض الموظفين في المصنع، وبالاًخص مدير خدمة العملاء، بدأوا يتذمرون من أنني أتقاضى أجراً مقابل قسم أظافري والتحديق في السقف. حتى إن البعض صاغ نظرية مؤامرة مفادها أنني أنا ومشغل البسترة قد فبركنا هذه الخدعة ليحصل هو على إجازة مرضية مدفوعة الأجر، ولاحصل أنا على ترقية؛ بالضبط كما هي القصص المختلفة السخيفة التي يعتمدتها الأشقياء المساكين، الذين لا يُحسنون التعامل مع حظوظ الآخرين السعيدة. بعد اجتماع عام، نسقَ المدير لإرسالي إلى دورات تخصصية، لإشغالِي من جهة، ولإكتسابِ المهارات المطلوبة لإدارة أزمات الموظفين المحتملة، من جهة أخرى.

وهكذا طرقتُ باب السّفر. صرتُ رجلَ العالم. حضرتُ ندوات وشاركتُ في ورش عمل على امتداد الجمهورية، بل والقارّة حتّى. بإمكانكم القول إنني أصبحتُ جامعَ دوراتٍ تدرّيسية: إسعافات أولية، التحكّم في القلق، التغذية والعادات الغذائيّة، فن الإصغاء والتواصل الحازم، نظام التشغيل DOS، الرجولة الجديدة، وعلم اللغة العصبيّ. كان ذلك عصرًا ذهبيّاً. إلى أن كانت نهايةً لكل شيء، كما هو حال كل الأشياء العظيمة والبهيّة. حلّت بداية النهاية بدورة تدرّيسية اضطررتُ إلى حضورها في قسم الفلسفة والأدب بالجامعة الوطنيّة في المكسيك. كان ابن المدير هو من قدّم لنا الدورة التدرّيسية، لذلك لم يكن الرفض ممكناً دون تعريض وظيفتي للخطر. فقبلتُ. كان اسم الدورة -الذي بثّ في الرعب والفزع والخجل- «الرقص لتحسين الاتصال».

تضمنَ التمرين الأول في ورشة العمل ابتكار نمطٍ رقصة ثانية. واتضَحَ لي أن شريكتي في الرقص كانت فلاكا (فتاة نحيلة بالإسبانية)، التي برغم رهاقتها ونحافتها، لم تكن جميلة ولا قبيحة. تلك الفلاكا استخدمني عموداً رقصٍ؛ رقصت من حولي بطريقة تلك الفنانة الرشيقـة الغريبـة والجذـابة من زمن السـتينـات، تونغوليـلي⁽¹⁾، في حين كنتُ أفرقـع بأصـابـعيـ، في محاـولة منـيـ

-1- تونغوليـلي (1932): يولـانـدا إـيفـونـ مـونـتسـ فـارـينـغـتونـ، المعـروـفةـ أـكـثـرـ باـسـمـهاـ المسـرـحـيـ تـونـغـوليـليـ، هيـ رـاقـصـةـ وـمـمـثـلـةـ أمـريـكـيـةـ مـكـسيـكـيـةـ.

لِتَتَّبِعَ إِيقاعَ الْأُغْنِيَةِ الصَّعِبِ، الَّذِي تجاهلتُهُ هِيَ تَمَامًا. زَلَقْتُ أَصَابِعَهَا عَلَى جَسْدِي، وَمَرَرْتُ أَصَابِعَهَا فِي شِعْرِي، وَحَلَّتْ أَزْرَارِي. بَيْنَمَا وَاصْلَتْ أَنَا فَرْقَعَةَ أَصَابِعِي بِضَمِيرٍ حِيٍّ. بِمَضِيِّ الْوَقْتِ انتَهَتِ الْأُغْنِيَةُ، كَانَتْ أُنْوَثَةُ فَلَاكَا فِي كَامِلِ إِزْهَارِهَا وَقَدْ افْتَضَتْ عَذْرِيَّتِي، وَتَحَوَّلَتْ إِلَى رَاقِصٍ حَسَنَ اِتْصَالِهِ، وَوَقَفَتْ هُنَاكَ شِبَهُ عَارٍ عَلَى خَشْبَةِ الْمَسْرَحِ فِي قَسْمِ الْفَلْسَفَةِ وَالْآدَابِ، خَصِيتَائِي بِحَجْمٍ ضَفْدَعِينَ. نِهايَةُ الذِّكْرِ.

لَكِي أَحْفَظَ مَاءَ وَجْهِي، لَمْ يَكُنْ أَمَامِي مِنْ خِيَارِ سَوْيِ الزَّوْاجِ بِفَلَاكَا بَعْدَ بَضْعَةِ أَشْهُرٍ. وَمَا إِلَى ذَلِكَ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ، ثُمَّ حَبَّلْتُ. وَتَرَكْتُ وَظِيفَتِي فِي مَعْمَلِ الْعَصِيرِ، لِأَنَّهَا فَكَرَتْ أَنِّي أَمْتَلِكُ مُوهَبَةً حَقِيقِيَّةً فِي الرَّاقِصِ وَرَبِّيَا الْمَسْرَحِ، وَيَنْبَغِي عَلَيَّ دُمْدَعَةً مُزِيدَةً مِنَ الْوَقْتِ. أَصَبَحْتُ مُشَرِّعَهَا الشَّخْصِيِّ، خَدِيمَهَا الْاجْتِمَاعِيِّ، مَسَاهمَتِهَا فِي إِنْمَاءِ الْأَمَمَةِ. نَشَأَتْ فَلَاكَا فِي مَدْرَسَةِ كَاثُولِيكِيَّةِ لِلْبَنَاتِ فَقْطَ، وَكَانَتْ مُنْحَرِفَةً شَأنَهَا شَأْنُ أَيَّةِ فَتَاهَ مَكْسِيْكِيَّةِ بِيَضْبَاءِ ثَرِيَّةِ. لَكُنُّهَا تَمَرَّدَتْ، أَوْ هَكَذَا رَعَمْتُ، وَكَانَتْ تَدْرِسُ كِيَ تَصْيِيرَ بُودِيَّةِ. وَبِمَا أَنَّهَا اَدْخَرَتْ مَا يَكْفِيَ مِنْ إِبْرَادَاتِهَا -أَكَادِيَّبَهَا بِالْأَحْرَى، إِذْ كَانَتْ أَمْوَالَ وَالدَّهَـا- فَقَدْ عَرَضَتْ عَلَيَّ دُعْمَهَا فِي حَالِ اِتَضَّحَ أَنَّ الْاشْتِغَالَ فِي الْمَسْرَحِ الرَّاقِصِ، بِصَفَّةِ خَاصَّةٍ، غَيْرِ مَرْبِعٍ بِالنِّسْبَةِ لِي. وَكَنْتُ عَلَى اِسْتِعْدَادِ لِخَوْضِ التَّجْرِيَّةِ. اِنْتَقَلْتُ لِلْعِيشِ فِي شَقْتَهَا الْكَبِيرَةِ فِي حِيِّ بُولَانِكُو، وَعِشْتُ حَيَاةَ الْأَمْيَرِ. ثُمَّ، وَكَمَا يَحْدُثُ دُومًا، وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ، صَارَتْ فَلَاكَا سَمِينَةً.

عَلَى رَغْمِ كُلِّ اِتْقَادِيِّ وَحِيُوتِيِّ، وَعَلَى رَغْمِ اِكْتِمَالِ الْمُمِيزَاتِ الْمَادِيَّةِ الْجَسْمَانِيَّةِ لِدِيِّيِّ فَإِنِّي لَمْ أَفْلُحْ بِالْعُثُورِ عَلَى وَظِيفَةِ رَاقِصٍ أَوْ مُمَثِّلٍ مُعاَصِرٍ. خَضَعْتُ لِاِخْتِيَارِ تَوْظِيفِيِّ فِي شَرْكَةِ إِيْكَارُوسِ لِلرَّاقِصِ الْمَتَدَاعِيِّ، وَفِي شَرْكَةِ الْبُعْدِ الْمَغَايرِ، وَفِي السَّبَاقِ الْكُونِيِّ، وَحَتَّى فِي مَجْمُوعَةِ الْفَضَّاءِ الْمَفْتُوحِ، وَهِيَ كَمَا يَوْحِي اسْمُهَا، مُنْفَتَحَةٌ لِلْغَایَةِ وَتَقْبِيلُ أَيِّ شَخْصٍ. وَلَكِنْ لَا شَيْءَ يُذَكِّرُ. كَادُوا يَقْبِلُونِي فِي فَرْقَةِ الْفَنُونِ الشَّعْبِيَّةِ، وَلَكِنْ فِي النِّهايَةِ ظَفَرَ بِالْوَظِيفَةِ الشَّاغِرَةِ شَخْصٌ بَدِينُ لَهُ جَسْمٌ كَجَسْمِ الْجَمْبَرِيِّ وَاسْمُ مُبَهِّرٍ إِلَى درَجَةِ السُّخْفِ؛ بِرِينِديِّ.

تجوّلت على غير هدّى لبعض الوقت، كما يقول المعني نابليون، مثل الخشب الأخضر الذي لا يحترق، والشجرة التي لا تضرب بجذورها في الأرض. قررت فلاكاً أنه ينبغي عليّ تطوير نفسي، وهكذا أجبرتني على حضور فقه اللغة الكلاسيكية، ومحاضرات الأدب المعاصر في الجامعة الوطنية. في البداية كرهت حياة الفصول الدراسية، لكنني برعت فيها بل تطورت، وأعتقد أن ذلك مردّه لكوني رجلاً مرتناً. قلتُ في نفسي، إن كنتُ سأصيرُ أباً، فأنا بحاجة إلى أن أكون قادرًا على سرد القصص لابني. لا أعرف إن كنتُ طالبًا مجتهداً، بما أنهم لم يعطوني العلامات فقط، ولكن تلك الدراسة جعلتني أقرأ على الأقل. لم أكن معجبًا بالروائيين، ولكنني أحببت بعض الشعراء، وكُتاب المقالات كلهم بكل تأكيد: السيد ميشيل دي مونتين، والسيد روسمو والسيد تشيسترتون والصيّدة وولف. بيد أنني أحببت الأعمال الكلاسيكية أكثر من أي شيء آخر. قرأتها جميعاً من أول كلمة إلى آخر كلمة، أقسمُ بشرفي. وكان كاتبي المفضل هو غايوس سوتونيوس ترانكويليوس^(١)، الذي ما زلتُ أراجع كتابه (القياصرة الائنا عشر)، أيقونة الحكم، كل ليلة قبل أن أخلد إلى النوم.

حالما أكونُ في السرير، وقد رفعتُ البطانيات إلى صدرِي، كنتُ أدرسُ يدي اليمنى تحت الوسادة وأسحب الكتاب بالطريقة التي يَسْحبُ بها راعي البقر مسدّسه من تحت وسادته، ولكن على نحو أبطأ قليلاً. ثمّ أغمض عيني، وبكلتا يديّ، أفتح الكتاب وأرفعه فوق رأسي، تاركًا صفحاته متبدلة فوقِي. ثم شيئاً فشيئاً أدنى الكتاب من وجهي، إلى أن يلامس أنفي حوافَ الصفحات، ويتعلّل ما بين صفحتين منها. تانك الصفحتان أقرأ. غالباً ما أكتب تاريخ قراءتي للصفحات على الهاشم مع بعض الملاحظات. ففي السادس عشر من أغسطس من عام 1985، على سبيل المثال، كتبتُ

- 1 - غايوس سوتونيوس ترانكويليوس (عاش حوالي 70-140م): مؤرخ وكاتب روماني ولد في منطقة هيبيو في الجزائر حالياً، وقد أرخ تاريخ الإمبراطورية الرومانية وخصوصاً في عصر يوليوس قيصر وشرح الحياة الاجتماعية والاقتصادية في روما القديمة. من أبرز أعماله «القياصرة الائنا عشر» أو «حياة القياصرة»، الذي يتناول الإمبراطورية الرومانية من حقبة يوليوس قيصر إلى عصر هادريان.

«عندما أكابر سأصير مثل أوكتافيوس أغسطس⁽¹⁾». ووضعت خطأ تحت الفقرة التي قرأتها:

«كانت أسنانه صغيرة قليلة ومتسوسة {...} كان معقود الحاجبين، وأذناه من الحجم الطبيعي، ولديه بروز في عظمة الأنف بالأعلى، مع انحناء عند أربنته. وكانت بشرته وسطاً ما بين الداكنة والفاتحة {...} ويقال إن جسده كان مشوباً بعيوب مختلفة الأنواع؛ كانت على صدره وبطنه كوكبة مؤلفة من سبع وحمات، تُحاكي كوكبة الدب الأكبر بالضبط، علاوة على بعض اللطخات المتصلبة والجافة، التي تشير إلى إصابته بالسعفة الناجمة عن حكة في الجلد، والاستخدام الشديد للمكشطة في الحمام {...}»

في التاسع عشر من سبتمبر من عام 1985، ضرب مدينة المكسيك زلزال عنيف، مثلما تَبَأَ خوليان إيربيرت، المُنْجَم في صحيفة إيكاتييك. وبعد وقوع الززال بدقاقيق قليلة، ولد سيدهارتا سانشيز توستادو. هذا هو الاسم الذي أطلقته فلاكا على ابنتها. من جهتي، كنتُ أفضّل اسم «يوكو»، بما أنني كنتُ دوماً متحمّساً للحضارة اليابانية والبيتلز⁽²⁾. ولكن بما أن المولود كان صبياً، تحتمّ على قبول اختيار فلاكا. كنا متفقين على هذا. ولد سيدهارتا سليماً معافى، دون سمات مميزة. لن أقول إنه كان مولوداً جميلاً لكنه لم يكن قبيحاً أيضاً. نهاية الملحوظة.

عندما بدأ سيدهارتا يزحف، وقد تجاوزت فلاكا أخيراً اكتئاب ما بعد الولادة، دعوته صديقي إل بيلرو على العشاء. سرت الأممية على ما يرام، وكنا نستذكر الأيام الخوالي مشفوعة بالحنين، إلى أن قدّمت فلاكا القهوة،

- 1- أوكتافيوس أغسطس (63 ق.م - 14 م): أغسطس المعروف باسم أغسطس قيصر، وهو ابن أخت يوليوس قيصر. يعتبر أغسطس مؤسس الإمبراطورية الرومانية، وهو أول إمبراطور لها. من أشهر أقواله: «وجدت روما مدينة من الطوب، وتركتها مدينة من الرخام».

- 2- البيتلز (1960): فرقة روك غنائية بريطانية شهيرة، كان جون لينون أحد أعضائها، وكان متزوجاً من الفنانة والموسيقية اليابانية «يوكو أونو».

وأخبرني إل بيلو بأنه منذ بضعة أيام التقى هوتشيمين، الحراس البديل الذي كان يدردش كثيراً. كان قد رأه في حانة مرتدياً بدلة باهظة الثمن، برفقته صحبة متميزة. مكتبة سُر من قرأ سأله: ماذا فعل؟ كيف صار كذلك؟

أجاب: صار بائعاً بالمزاد العلني.

- هكذا فقط؟ سألتُ وأنا أزدرُ قهوتي بصعوبة.

وشرع إل بيلو في الشرح. يبدو أن ما حدث هو أنني عندما استقلتُ من وظيفتي في المصنع، استأذن هوتشيمين المدير في الانساب إلى دورة تدريبية تأهلًا في حال حدوث أزمات لدى طاقم الموظفين. أعتقد أنه فعل ذلك لأنه أراد أن يكون مثلي. وهكذا أُرسَل إلى دورة تدريبية واحدة، للإسعافات الأولية، لكن ذلك المكار الصفيق انتهز وقت الفراغ للتسجيل في دورة المزاد العلني في الحي الكوري في مكسيكو سيتي في زونا روزا. بعدها بشهر، تخلّى عن وظيفته في المصنع، وبدأ يعمل في بيع السيارات بالمزاد. وكان عمله مجزيًا وعلى خير ما يرام. أفضل من أعمالنا نحن البقية مجتمعين، قال إل بيلو.

في اليوم التالي، ركب المترو إلى الحي الكوري، ومشيت في الشوارع بحثًا عن إعلانات متعلقة بالمزادات أو بائعي المزادات، أو عن أي شيء له صلة بالموضوع على الإطلاق. بعد ساعات من البحث غير المجدية، وقد أنهكتني الجوع، دخلت أحد المطاعم، وطلبت كيمتشي⁽¹⁾، الطبق الذي يختص به المحل. في إحدى زوايا المطعم، كان هناك شاب في الظل يعزف على الغيتار، ويغني لحناً آسِرًا شجيًّا عن رجل غابت عن أنظاره امرأة في محطة ميترو بالديراس.

رحت أتصفح الجريدة، محاولاً طرد نوبات الكآبة الحبيثة التي تعصف بك عندما تأكل وجباتك في أوقات غير معتادة. واستغرقت في قراءة الجريدة، بما أنني كنت مترعًا بالشفقة على الذات التي تأثرت عن رفضي المتكرر في

- 1- الكيمتشي: طبق كوري تقليدي وأساسي، يشبه المخلل عند العرب، مكون من الملفوف والثوم واللفلف الأحمر الحار.

عالم الرقص والمسرح. إن بؤس الآخرين وحظهم الميمون يضعان أحوالى دوماً في منظورها الصحيح. في أحد الأيام قرأت قصة في الصحفة عن كاتب محلي استبدل كل أسنانه. كان هذا الكاتب، على ما يبدو، قادرًا على تحمل تكلفة طقم الأسنان الجديدة وأجور العملية الجراحية الباهظة لأنه كتب رواية. رواية! أبصرتُ مستقبلي. واضحًا وضوح الشمس في رابعة النهار. إن كان ذلك الكاتب قد تمكّن من علاج أسنانه بكتابه كتاب، فيمكنتني فعل ذلك أنا أيضًا! اقتطعتُ المقالة ووضعتها في محفظتي. وما زلتُ محتفظًا بها في جميع الأوقات، مثل تعويذة.

وكما ذكرتُ آنفًا، أنا رجلٌ محظوظ. عندما فرغتُ من تناول طعامي، وكنتُ سائراً باتجاه الباب لمغادرة المطعم، وقعت عيني على ملاحظة مُسجلة على أحد الجدران. بخطٍّ نيقٍ أنيق رأيتُ النداء إلى قدرى: «تعلّم فن الدلالة والبيع في المزاد العلني». النجاح مضمون. وعلى منهج يوشيميتو. وبينما كانت النادلة تُعدّ فاتورتي؛ دونتُ العنوان على منديلٍ ورقى.

استمرّت الدورة التدريبية المكثفة في فن البيع بالمزاد العلني مدة شهرٍ كاملٍ، وأقيمت كل مساء من الثالثة وحتى التاسعة في القاعة الخلفية من «كاريزما الشّعر»، وهو محل حلقة ياباني-كوري في كالي لوندريس. كان اسم المعلم - وهو ياباني الأصل - ماستر أوكلاهوما، لأنه درس حرفة البيع بالمزاد العلني هناك، في أوكلاهوما، في الولايات المتحدة الأميركيّة. واسمُه الحقيقي هو كيتا يوشيميتو، أما اسمه الغربي فهو كارلوس يوشيميتو. كانَ رجلاً حصيفاً أريباً ذا أناقة وتميز؛ كما كان التّجسيد الحي للتكلّم وضبط النفس. إن الوعي الذي يميّزني، وكذلك ولائي واحترامي لكلٍّ من معلّمي ومهنتي، يمثّلني من الكشف عن أسرار فن البيع بالمزاد العلني. ولكن ثمة شيئاً وحيداً بوسعي تفسيره بخصوص أسلوب يوشيميتو، المستمدّ من مزيج من البلاغة التقليدية والنظرية الرياضية عن الانحراف المركزي. وفقاً لِماستر أوكلاهوما، هناك أربعة أنواع من المزادات العلنية: الدائري، والبيضاوي،

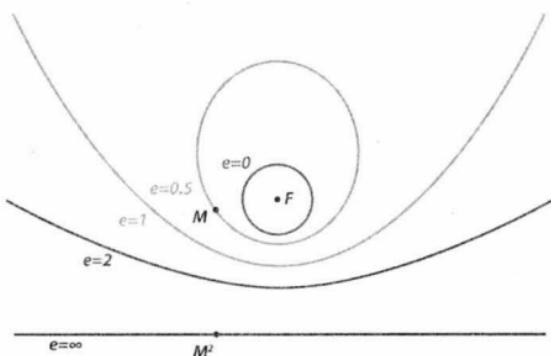
والقطع المكافئ، والقطع الزائد⁽¹⁾). وبالتالي، المنهج الذي ينحوه أي مزاد تحدّده القيمة النسبية للانحراف المركزي (إبسيلون) لخطاب البائع؛ أي درجة انحراف مقطوعه المخروطي عن محيط الدائرة (الغرض المُراد بيعه في المزاد العلني). ويكون نطاق القيم على النحو الآتي:

إبسيلون النمط الدائري / موارب أو إيحائي، يساوي صفرًا.

إبسيلون النمط البيضاوي / المُضمر، أكبر من الصفر ولكنه أقل من واحد.

إبسيلون نمط القطع المكافئ / الرمزي أو المجازي، هو واحد.

إبسيلون نمط القطع الزائد / المُغالى به، هو أكبر من واحد.



- بعيداً عن نظرية اللامركزية في الرياضيات، فإن للمفردات الواردة فيها معاني لغوية مغايرة في الإنكليزية ذات صلة أيضاً بموضوع الرواية:
- = دائري = موارب أو إيحائي = Circular
 - = بيضاوي = مُضمر = Elliptical
 - = قطع مكافئ = رمزي أو مجازي = Parabolic
 - = قطع زائد = مُغالى به / مبالغة = Hyperbolic

بمرور الوقت، تطورت وزدت نوعاً آخر على طرق المزاد الخاصة بماستر أوكلاهوما، على الرغم من أنني لم أضعها موضع التنفيذ إلا بعد سنوات عديدة. كانت طريقي المبتكرة تلك هي «المجازية»، التي انحرافها الالامركزي (الإبسيلون) لا نهائيّ، ولا تعتمد على المتغيرات العرضية أو المادية. كنت متأكداً من أنَّ معلمي سيوافق عليها، وذلك ما حدث بالفعل.

أثناء اجتماعنا الأول، قعدَ ماستر أوكلاهوما قبالتنا على كرسيِّ الحلاق، واستخدم مقصين ليشرح لنا النمط «المكافئ» للبيع في المزاد. وبالفعل باعهما بنجاح، وذلك بسرد قصة قصيرة وبسيطة عن أصلهما. وعلى الرغم من أننا كنا جميعاً جالسين قبالته، وبين أيدينا الدفاتر وأقلام الرصاص، مدركين تماماً أننا طلابه وليسنا جماعة من المشترين من أية طائفة كانت، بما أننا دفعنا لتوّنا ثمنَ الدورة الباهظ،أخذَ معلّمنا المقصين من على المنضدة وما زال يدلّل عليهما ويقنعنا بهما حتى وقفَ أحد الطّلاب، وهو السيد موراتو، وأخرجَ محفظته ودفع 750 بيزو ثمناً لهما!

اعتادَ ماستر أوكلاهوما أن يقول لنا في نهاية كل جلسة، إنَّ أهم ما في الحياة هو أن يكون لكَ مصير. كانَ يتفرّس في وجوهنا بتعبيرٍ لا يُشيّ بشيءٍ، وبالكاد تعبّرُ أدنى ابتسامة. ثمَّ كنا نُؤْدَى إلى ثمانية باليابانية، ونتنفس بعمق، بعيون مغلقة؛ لتهنئي الجلسة بذلك. كنا نستأندهُ بالانصراف بإيماءة من الرأس له، ولزملاتنا.

كان لدى هدف واضح، ومصير: كنتُ سأصيّر بائعاً في المزاد العلني لكي أصلاح أسنانِي، مثلما فعلَ ذلك الكاتب مع كتابه. والأهم من ذلك، كنتُ سأصلاح أسنانِي فأتمكن من ترك فلاكا، التي باتت امرأة بدينة وسيئة الطّباع. وبعد ذلك، يتسلّى لي الزوج من امرأة أخرى، ربما فانيسا أو ماريا أو فيرونيكا، الطالبات الثلاث الأكثر جاذبية في الدورة التدريبية.

صارت فلاكا مؤذية ومرهقة للنفس. راحت تجبرني على التبول قاعداً، لئلاً أشرشر، وترسلني للنوم على الأريكة لأنني أشخر. وكان محظوراً عليَّ المشيَّ حافياً لأنَّ قدميَّ تعرّقان وتتركان بصمات على الأرضية. افتعلت المشاكل معها لأنها كانت الممولة وأنا المستهلك. كانت عندما تغضب

تناديني Gustabo (الكتوم) أو في بعض الأحيان Gustapo (الكتبي المفزع)
أو حتى Gestapo (الشرطة السرية النازية).

وفي الليل، عندما أعجز عن النوم كنت أتخيل فانيّا وهي تناديني: يا مفتول العضلات، وماريا تُسميني ديك المصارعة، وفيرونيكا تدعوني بالوسيم الطائش. وكنت أتقلب في سريري، قلقاً يقظاً - مفتول العضلات.. ديك المصارعة.. الوسيم الطائش - وأفكّر بمستقبلي الباهر بصفتي بائعاً في المزاد العلني، وبأساني المستقبلية.

نظر المثابرتي وحذري وانضباطي خلال دورة ماستر أو كلاهـ ما حصلت على منحة «دورة تدريبية متقدمة» مُدتها ستة أشهر في مدرسة ميسوري للمزاد العلني في الولايات المتحدة الأميركية. وأما منحة جيرسي، المرغوبة أكثر، فقد فاز بها السيد موراتو، مُشتري المقصرين. لا أضمِّر له أية ضغينة؛ لربما هو يستحقها فعلاً. لم ترقى الدورة التدريبية في ميسوري إلى مستوى توقعاتي، لأنها ركزت على بيع المواشي. لكنها استحقّت التعب، بما أنني رجعت من الولايات المتحدة الأمريكية وقد أجدت التحدث باللغة الإنكليزية. وأنثاء فترة تواجدي في ميسوري أيضًا كونت تصوّراتي عن نظرتي المجازية وطورتها. هذا الأسلوب، بالطبع، هو نتاج عقريتي، لكنني استلهمنته من الخطب اليومية لمعلمنا الدلال الكبير ومغني الريف ليريوي ثان دايك⁽¹⁾. بمجرد ذكر هذا الاسم، تملّكني العزيمة والدافع للوقوف والتصفيق. كما أني أختلف تماماً مع عمّي الثاني خوان سانشيز بودريار⁽²⁾ حين يقول: «قد لا يكون للأميريكين هوية، ولكن لديهم أسناناً رائعة». ذلك لأنّ ثان دايك لديه هوية راسخة وأسنان رائعة.

إن المعلم الكبير ليريوي ثان دايك هو من ألف نشيد نقابتنا، «بائع بالمزاد العلني»، وهو يروي قصة صبيّ من أركنساس أراد أن يتعلّم كيف يكون بائعاً في المزاد العلني، ويبدأ بالتّمرن كل يوم في حظيرة المزرعة التي يعيش فيها،

-1- ليريوي ثان دايك (1929 - ولاية ميسوري): مغني ريف أمريكي وعازف غيتار، اشتهر بأغنياته بائع المزاد العلني (The Auctioneer).
-2- إشارة إلى جان بودريار (1929-2007)، عالم الاجتماع والفيلسوف والناقد الثقافي الفرنسي.

وكانت الحيوانات جمهوره. وعندما أدركَ والده ووالدته أنه يمتلكُ موهبة أرسلاه إلى مدرسة المزاد، حيث صارَ بائع مزادات مُحنّكاً.

الإصغاء إلى ليريوي ثان دايك وهو يغنى «بائع بالمزاد العلني»، وهي أيضًا الفكرة التي يتمحور عليها فيلمي المفضل «على ماذا سأزيد؟»^(١) منحني الحافز الذي احتاجته لصدق وتطوير التفاصيل التصورية المتعلقة بأسلوبي المجازي. لقد أدركتُ أن ثمة ثغرة في مهنتي؛ ثغرة تعين عليّ سدّها. لم يكن هناك من مُزايد واحدٍ، مهما بلغت براعته في ترديد الأرقام الجنوبيّة، أو خبرته في التلاعب بالقيمة التجارية والعاطفية للأشياء، بمقدوره أن يقول أي شيء عن بضاعته، لأنه لم يفهمها أو لم يكن مهتمًا بها لذاتها، وإنما في قيمتها التبادلية فقط. وقطنْتُ أخيرًا إلى معنى الكلمات التي قالها ماستر أوكلاهوما ذات مرة ببررة حزني وتسليّم: «نحنُ البائعين في المزادات العلنية مجرد مبشرين مأجورين ما بين الجنة وجحيم الطلب والعرض». ولتكنني على أية حال كنتُ بصدق استصلاح فن البيع في المزادات العلنية. وكنتُ بواسطة أسلوبي المبتكر قادرًا على دفن كلمة مبشر في ماضي مهنتي بعيد. لم أكن مجرد بائع متواضع للأشياء، ولكنني أوّلًا قبل كل شيء، أنا عاشقٌ وجامعٌ للقصص الجيدة، وهي الطريقة الوحيدة الصادقة لتعديل قيمة الأشياء. نهاية التصريح.

رجعتُ من الولايات المتحدة الأميركيّة طافحًا بالطموح، وعلى استعداد لكي أسلك السبيل نحو أسنانِي الجديدة. وكانَ أوّل ما فعلته التنظيم لمزاد خاص بي. بعثُ في المزاد العلني عدّة قطع من أثاث فلاكا القديم بسعر تمكنتُ فيه من شراء أثاث جديد لنفسي، ومن دفع إيجار شقة لستة أشهر. لم أرَ فلاكا مرة أخرى ولله الحمد. ولكنني لم أرَ سيدهارتًا أيضًا لسنوات عديدة. وعلى الدوام، كان هناك شيء ما يحتضرُ في صدري.

ركّزتُ على مهنتي. بدأتُ ببيع الأثاث في المزاد العلني بحيّ بورتاليس. بعد ذلك تعرّفتُ إلى أنجيليكا. بعثُ سيارات في المزاد العلني في

كويرنافاكا^(١). ثم التقيتُ بإيريكا. ورحتُ أكثرُ من السفر والترحال. وفي تلك السفريات، بدأتُ بجمع مجموعة من الأغراض التي اشتريتها بأسعار معقولة إلى حدّ ما أثناء التخفيضات الخاصة. بعثُ التحف والأثريات بالمزادات في جميع أنحاء أوروبا؛ والعقارات في كاليفورنيا، والتذكارات في ساو باولو. ومضيَّ قدمًا في البيع بالمزاد العلني. ثم قابلت إستير، وهكذا دواليك حتى أصبحتُ بالبروستات، وحينذاك كففتُ عن عدّ النساء، ولكن ليس المزادات. نظمتُ مزادات لبيع المجوهرات، والمنازل، والأعمال الفنية القديمة والمعاصرة، والنبيذ والمواشي والمكتبات، وموجودات ضخمة صُودرت من تجارة المخدرات. ملأتُ جيوبِي بالمال بالنصب والتحايل على أصحاب الملايين بضربة مطرقة: تذهب، تذهب إلى، يبعث!

لكنني لستُ مُحدثًّا نعمة. أعتقدُ أنه كان بمقدوري امتلاك عشر شقق في ميامي، إلا أنني عوضًا عن ذلك قررتُ شراء قطعة أرضٍ في حي طفولتي في إيكابييك. ومع وضع هذا في الحسبان، اشتريتُ قطعتي أرض متجارتين، في شارع ديزنيلانديا الجميل؛ فمن الضروري الاستثمار في الثروات الوطنية. إذا ما جمعنا قطعتي الأرض معاً، أعتقد أن مساحتهما ستكون بضعة هكتارات. على الرغم من أنني لم أكلف نفسي عناء الحسابات مطلقاً، بما أنني لستُ مغلول اليدين أيضًا. شيدتُ على إحدى القطعتين منزلًا ملوّناً من ثلاث طبقات مع أبراج، وحرستُ على تركي ما يكفي من حديد التسليح في المكان لمزيد من التطوير، وليس لتفادي الضرائب مثلما يفعل معظم الناس في المكسيك. وفي الأرض المجاورة عمرتُ مستودعاً حيث خرّيتْ طيلة حياتي. وقبالة هذا المستودع بنيتْ دار مزاد خاصة بي. وفي أحد الأيام، كنتُ سأبتهني جسراً معلقاً للربط بين المبنيين. كنتُ قد وضعتُ بالفعل الخطط لذلك. ثم تكريماً لمعلمي الكبيرين كنتُ سافتتحه رسمياً باسم دار مزاد أو كلاهوما - ظان دايك. كل ما كان ينقص هو رخصة استخدام الأرض من طرف المجلس المحلي، الذي دائمًا ما يُمْنَع: غداً!

سيكون من غير اللائق إنهاء قضتي من خلال سرد المنافع التي عاد بها

- 1 - كويرنافاكا (كواتيموك): عاصمة ولاية موريلوس في المكسيك وأكبر مدنها.

على التدريب الشاق وعلى مجتمعي أيضاً، بالإضافة إلى موهبي الفطرية في المزايدة. أود أن أقول فقط، على سبيل السيرة الذاتية، إن كفاحي الطويل ضد الخزي والذل اللذين ولدتُ فيها وترعرعتُ، قد انتهى سنة 2000، أثناء رحلة نهاية الأسبوع التي قضيتها في ميامي، حيث ذهبتُ إلى مزاد للسيارات. ففي مساء يوم أحد، عندما استلمتُ شيئاً ضخماً جراء مزاد علني بعث فيه وبنجاح سبعاً وثلاثين شاحنة بيك أبو، مضيتُ مع بعض الرفاق إلى مزاد لبيع التذكارات المهرّبة في حانة كاريوكى في ليتل هافانا. فعلى ما يedo كانوا قد التقوا بعض الصديقات الجذابات في الليلة السابقة ورتبوا للانضمام إلينهنّ هناك. ووعدوني بأن الأمر يستحق العناء. ليس من عادتي الانغماس في سلوكٍ فاضح أو القيام بشؤون تجارية في أيام الأحد، لكنني قررتُ مراقبتهم. ومما أراحَّ بالي أن السيدات الأربع حينما ظهرنَّ، بدونَ في حالٍ يرثى لها على أية حال.

عندما بدأ المزاد، ظنتُ أن لا شيء سيغويوني، حيث بدا من الواضح أن التذكارات المعروضة كانت من الدرجة الخامسة؛ ساعة يد امتلكها سياسيّ أميركيّ ما، سيجارٌ يخصّ مليونير كوبياً غير معروف، رسالة بقلم روائيّ مغمور سافر إلى جزيرة كوبا في الثلاثينيات. لم يكن في نيتّي تبديد نقودي، ولكن دونَ سابق إنذار، وضعَ إله الأشياء الصغيرة⁽¹⁾ الجنّة أمامي. والجنّة لا تُشتري بِشْمِنْ بخس. هناك، في أعماق عزلة الأحد في مزاد علني في ليتل هافانا، وجدتها: إنها أسنانى الجديدة.

في صندوقٍ زجاجي صغير رفع المُزايِد عالياً الأسنان المقدّسة التي كانت بانتظاري، وما عساها تكون سوى أسنان مارلين مونرو؟ نعم بالفعل، كانت أسنان مُغنية هوليود. لربما كانت مصفرة قليلاً، فعلى ما أعتقد لأنّ المغنيّات يملنّ إلى التدخين. عندما افتتح البائع المزاد كان الجو مشحوناً بالقلق والتوتر. العديد من السيدات اللواتي أكلّ عليهن الدهر وشربّ، بمن فيهنّ إحدى صديقاتنا، وضعنَ عينهنَّ على هاتيك الأسنان. رجل سمينٌ بملابس عتيقة الطراز بسطَّ رزمة من الأوراق النقدية على طاولة البار، ووقفَ

- 1 - إشارة إلى رواية «إله الأشياء الصغيرة» للكاتبة الهندية أرونداطي روبي.

لإشعال سيجار. ولكنني عاندْتُ وأصررتُ إصراراً على امتلاكها؛ وصارت الأسنان، أسناني، لي أنا.

أظهرتُ براءة في المزايدة لدرجة أن إحدى صديقاتنا - وهي صحفية أرجنتينية لها خدّان مترهّلان وشعر خشنٌ مثل ممسحة الأرجل لكثرة ما تعرّض للصّباغ - قد كتبت مقالة عن المزاد تُشرّت في جريدة ميامي صَنْ. كانت غيرتها من إنجازي واضحة، لأنها أرادت الأسنان هي أيضاً، فأتى مقالها قاسياً ملتوياً. ولماذا أهتم؟ وفكرة بأنها عما قريب ستأكل كلماتها، بينما أتناول أنا طعامي بأسنان مارلين مونرو. حال عودتي إلى المكسيك، زرعت كل سِنٍ من أسنان «زهرة» الشاشة الكبيرة في فمي على يد جراح أسنان عالمي المستوى، الطبيب الشهير لويس فيليبي فابر⁽¹⁾، مالك «إل ميغيلور فابرو»، أفضل عيادة لتجميل أسنان، ومستودع في المكسيك. احتفظتُ بعشر من أسناني القديمة، أفضلها مظهراً في الحقيقة لاستخدامها لاحقاً، فقط للضرورة.

بعد العملية بأشهر، لم أستطع تتحية الابتسامة العريضة على وجهي. أريت الجميع خطّ ابتسامتي الجديدة اللامتناهي، وكنت كلّما مررت بمرأة أو نافذة تعكس صورتي، أرفع قبعتي بطريقة نبيلة، وأبتسّم لنفسي. اكتسب جسمي النحيل وحياتي غير المتّزنة ثقةً ورadianةً بظهور أسناني الجديدة. كان حظّي منقطع النظير، وحياتي قصيدة، وكنت واثقاً أنه في يوم من الأيام سيكتب أحدهُ ما قصة جميلة عن السيرة الذاتية لأسنانِي. نهاية القصّة.

- 1 - لويس فيليبي فابر (1974): شاعر وناقد وكاتب مقالات مكسيكي.

«كلّ سنٌّ في رأس الإنسان أثمن من الماسة»!
* ثير باتتس

الكتاب الثاني

المبالغات

إن الارتباط الاعتيادي ما بين الإشارة ومعناها ومرجعيتها، هو من النوع الذي تتوافق فيه العلامة مع معنىًّا محدد، وهذا المعنى، بدوره، ذو مرتجعية محددة، في حين أن المرجع المحدد (كائن ما) لا يتميّز إلى إشارة وحيدة.

• غوتلوب فريجه⁽¹⁾

بحلول عام 2011 طَرَأَ صواب المكسيكيين. اشتَدَّتُ الخصومات فيما بين الجميع، وَسَادَ آنئذٌ مناخٌ عامٌ من العِداء والصَّبغينة؛ شعورٌ بالعيش على حافة الكارثة. كان قد مرّ بعض الوقت منذ أن افتتحتْ مزاًداً عليناً. وأعتقدُ أن ذلك مردّه إلى أن المكسيكيين مثل السَّلطعونات في الدلو، وهذا لا يستلزم مزيداً من الإيضاح. ضَعُفتْ مهاراتي من قلة الاستخدام. وكنتُ قد توقفتْ عن السفر أيضاً، لأنني أدركتُ في المقام الأول أن المكسيك رائعة، على الرغم من انهماك المكسيكيين وعدم ادّخارهم أي مجهد لتخريب كل شيء. في رأيي، خارج موطنِي الأصلي، باريس فقط تستحق الذكر، ولكن رغم ذلك، نعلمُ جميعاً أن مدينة كامبيتشي تفوقها روعة. نهاية الملحوظة.

- فريديريش لوذرفيغ غوتلوب فريجه (1848-1925): فيلسوف ألماني وعالم منطق ورياضيات. يُعرف عنه أنه مُبتدع الفلسفة التحليلية.

بدلاً من تبديد أموالي في السفر، أمضيت السنوات اللاحقة في الحي الذي أقطنه، أجمع القصص والأشياء التي أتقنها صدفة في طريقي، أو تلك التي عثرتُ عليها في ساحة الخردة المحلية، وهي مُنشأة جميلة أتاحَ لي مالكها صديقي خورخي إيبارغونغويتيا⁽¹⁾ دخولاً خاصًا إليها لكوني زبونًا مخلصًا. جمعتُ مما اكتسبتُ من أسفاري الدولية ومن مجموعاتي المحلية الجديدة مقتنيات جديرة بالإعجاب. كنتُ أعلمُ أنني يومًا ما سوف أقيمُ مزادًا كبيرًا في منزلِي؛ حيثُ سأمنحُ كنوزي لأناسٍ يستحقون هذا الامتياز، أناس مهذبين رُقاة؛ أصحاب رؤى واسعة. ولكن كل ذلك كانَ ما يزال في جعبه المستقبل، وأنا رجلٌ صبور. كانَ ما يزال متوجّبًا على الانتهاء من الجسر المعلق الذي يربطُ المستودع بصاله المزاد، وكان من اللازم الحصول على رخصة استخدام الأرض، وعلى مقاعد مريحة من أجل المزايدين، والأهم من ذلك كله، كانَ عليَّ توظيف شخصٍ ليسقِّ لي كتالوج مقتنياتي.

بالنسبة إلى الرجل المحظوظ، حتى الديك بوعده أن يبيض، كما يعني «نابليون». ففي صباح صيفي، أتى الأب لويجي أمara⁽²⁾، كاهن أبرشية القدسية أبولونيا⁽³⁾، ليقدم لي مساعدة. أو هكذا ظنتُ. أوضح لي أن كنيسته قد دخلت في مرحلة ركود اقتصادي على إثر الأزمة العالمية. كانَ في حاجة إلى خدماتي باعتباري بائعاً في المزاد العلني واقتراح عليَّ مشروعًا، ووعد بأنه سوف ينفعني أيضًا من الناحيتين الروحية والمادية. ولمَ الكذب؟ لقد أثرت علىي الأزمة الاقتصادية أنا أيضًا. كنتُ بحاجة إلى المال الذي أكد لي الأب لويجي أننا سنجنيه إذا ما تعاوننا في تنظيم مزاد علني للمقتنيات في الكنيسة.

-1 إشارة إلى الروائي والكاتب المسرحي المكسيكي خورخي إيبارغونغويتيا (1928-1983) الذي حق نجاحًا شعبيًا وأشهر بكتاباته الساخرة.

-2 إشارة إلى الشاعر والمترجم المكسيكي لويجي أمara (1971).

-3 القدسية أبولونيا (249 ميلادية/وفاة): ولدت في الإسكندرية لأبوين مسيحيين، ولقيت بشفاعة مرضى الأسنان والصداع، نظرًا للتعذيب الذي تعرضت له من تكسير أسنان وزرعها بكمامة وذلك لمجابتها الإمبراطور داكيوس الذي أعلن عداءه للمسيحيين. أقيمت على اسمها مذابح وكنائس كثيرة في أوروبا وتحتل بعده استشهادها في التاسع من فبراير من كل عام.

كانت خطة الأب لوبيجي بسيطة. مرّة في الشهر تقدّم كنيسة القدس أبولونيا خدمة لنزلاء دار رعاية المسنين في الحي «الشقق الهايئ»، أو ربما «الشقق الجميل»، وربما «الشقق» فقط، اسمٌ من هذا القبيل، محِيط بقدر ما كان متوقعاً. كان من المزمع إقامة القداس الشهري المخصص للمسنين في يوم الأحد التالي. وفقاً للأب لوبيجي، كانَ معظمهم من عائلات ثرية. وهم متقدمون في السنّ، ولكنهم موسرون. كان علينا الاستفادة القصوى من مكان وسياق القداس للحصول على بعض المال منه. سوف نبيع تلك الجماعة الشائخة من الأثرياء مجموعة من مقتنياتي من أجل تحصيل شيء من المال للأبرشية؛ ثلاثة بالمئة لي، وبسبعين بالمئة للكنيسة.

في البداية اعتقدتُ أن المعادلة غير مُنْصِفة، نظراً لأن مساهمة الأب لوبيجي ستكون مقتصرة على استخدام كنيسته والمزايدين الذين على الرغم من كثرتهم، ما هم على أبعد تقدير إلا عصبة من كبار السنّ المعتلّين. ومع جمهور كهذا تكونُ فرص المزاد الجيد قريبة من الصفر. لكن الأب الموقر نبهني إلى التفكير في النفوس البائسة التي سيفرّحها حضوري، وبخلاصٍ روحي الطيبة أيضاً. وعلى الرغم من عدم يقيني بإيماني بالجحيم، فأنا أعدّ نفسي من أولئك الذين يؤثرون السلامة على الندامة. علاوة على ذلك، فلقد وافق الأب لوبيجي، عن طيب خاطرٍ، على إجراء مزادٍ من نمط القطع الزائد (المُبَالَغ فيه)، والذي كانَ الأكثر ملاءمة للظروف.

قال: بالطبع أيها الطريق السريع، إن المبالغة هي وسيلة فعالة لنقل القوة العظيمة للروح القدس.

شرحْتُ له أن ما قصدته هو أنه بإمكانني رواية القصص التي كانت درجة انحرافها عن قيمة المقطع المخروطي للأشياء المرتبطة بها أكبر من الصفر. وبعبارة أخرى، كما قال كيتيليان⁽¹⁾ العظيم ذات مرة، من خلال مبالغاتي يمكنني استعادة قيمة الشيء عبر «تجاوز لطيف للحقيقة». مما يعني، أن جميع القصص التي سأرويها حول القطع المعدّة للبيع ستكون مستندة إلى

- 1- كيتيليان (35م - 100): ماركوس فابيوس كيتيليانوس، بلغ روماني وخطيب رائد من هسبانيا، ولدَ في مدينة فلهرة (إسبانيا حالياً) عاش في روما أثناء عصر نيرون.

حقائق مُبالغ بها في بعض الأحيان، أو بعبارة أخرى، ستكون مضاءة أكثر. إلا أن الأب لوبيجي، مثل جميع أبناء مهنته، يُعطون دائمًا أذنًا صماء لأي شيء تقوله لا يتوافق مع اعتقادهم بما يتوجب عليك قوله.

أمضيت بضعة أيام في اتخاذ قرار بشأن أفضل مجموعة من السلع لبيعها في المزاد لجمهور من كبار السن. تجولت في مستودعي، دون ملاحظات، وبالطبع، رجعت إلى مجلد «غايوس سوتونيوس ترانكيلوس» لاستقي منه الإلهام. خلال تلك الأيام، قرأت، بالصدفة ولحسن الحظ، مقالة عن مزاد علني بيع فيه ضرس يخص جون لينون. احتفظت مدبرة منزل جون لينون - دوت جارليت - بالضرس لأكثر من نصف قرن، ثم باعهَا أخيراً إلى دار أوميغا للمزادات. ومع أن دار أوميغا عرضته بقيمة ستة عشر ألف دولار فإنه بيع أخيراً باثنين وثلاثين ألف دولار. إن الفكرة العبرية ليست سوى حسبة صائية؛ واحد زائد واحد: تذكرت أنه من بين مجموعتي كان لدى أسناني القديمة. لست رجلاً ساذجاً، وأعرف أن أسناني ليست بقيمة أسنان جون لينون، ولكن يمكنني رفع قيمتها إن أحسنت استخدام طريقي المبالغ بها. بمعنى، سأروي عن كل سن قصة مبالغ بها حول إحدى شخصياتي المفضلة، بما يحاكي النمط الذي كتب به «سوتونيوس» عن شخصياته. بالنتيجة وكما يقول كيتييليان: «إن المبالغة ببساطة، هي إحداث شرخ في العلاقة بين الأسلوب والواقع».

عرضت مجموعتي وشرحت خطتي للأب لوبيجي. وافق دون إبداء كبير اهتمام بتفاصيل أسناني المبهرة، ولا بحكاية ضرس جون لينون. هذا هو دأب السياسيين، ورجال الدين أيضًا: مُغترون بأنفسهم لدرجة أنه لا يتعريهم أدنى فضول حيال حياة الآخرين.

مررت بلحظةأخيرة من الشك والتردد قبل إبرام الصفقة. لن يكون من السهل علي أن أعرض علينا مثل هذا القسم الخصوصي من مجموعتي. علاوة على ذلك، كنت أفضل الاحتفاظ بهذه القطع إلى حين إجراء مزاد الكبير. في النهاية وافقت طبعاً، لأنني لست خسيساً. ولأنني تذكرت أيضًا تلك الأمسية المتألقة عندما قرأت عن مزاد علني أقامه أحد أفراد الحرس الإمبراطوري عقب اغتيال الإمبراطور «بيرتيناكس» مباشرة عام 193، وباع

في الإمبراطورية الرومانية بأكملها. في ضوء هذه الحادثة التاريخية، ستكون قلة في اللياقة والوقار من طرفي إن لم أقبل التحدي البسيط الذي وضعه القدر في طريقي. نهاية التصريح.

في اليوم الذي سبق المزاد، أخذ المرسول مجموعة أسنانى إلى الكنيسة، حيث كان من المقرر أن تقضي أغراضي ليلتها. وفي وقتٍ مبكر من صباح اليوم التالي أتى الأب لوبيجي لاصطحابي. كنتُأشعرُ بأنني مضطربٌ ومتداعٌ من قلة النوم. بقيتُ الليل كلهُ مستيقظاً من الأرق، وربما لأن القمر كان مكتملاً. أعتقد أن الأب لوبيجي فسرَ مظهري على أنه علامة قلق من المزاد الوشيك.

بينما كنا نجتاز البوابة الضخمة إلى الشارع سألهني: «هل أنت متواتر؟»
أجبته: إطلاقاً! بينما يداي ترتجفان مثل زوجين من آلة الماراكا⁽¹⁾.

مشينا في صمتٍ يصعبُ تأويله لدرجة أنني فضلتُ عدم كسره. وفي منتصف الطريق شعرنا بالجوع، لذلك توقفنا عند كشك ماغاليتا لشراء آتونيه⁽²⁾ الفراولة، واستأنفنا الطريق ونحن نحتسي المشروب من كوب فليني. وبمجرد أن صرنا عند مدخل الكنيسة عاد الأب لوبيجي إلى نفس الموضوع، وكان طرف شاربه ملطخاً باللون الوردي من آتونيه الفراولة:

- لن تراجع عن الموضوع، أليس كذلك؟

- المظاهر خدّاعة، يا أباها، أنا رجلٌ جسور.

- اسمع أيها الطريق السريع، لن يكون الأمر سهلاً، ولكن عليك أن تضع في الحسبان أنه لا بد من إنقاذ الأبرشية من نقشِ الرأسمالية الذي يتهدّدها. اتفقنا؟ وفي فعلك ذلك تطهير لروحك، مفهوم؟

- مفهوم يا أباها، ولكن لماذا تواصل الإلحاح عليّ بهذا الشأن؟

- أنا لا ألحّ. فقط أردتُ أن أوضح لكَ أن هؤلاء الناس سيأتون لرؤيتك،

1- الماراكا: (خشيشات) من أكثر الأدوات الموسيقية شهرة في أميركا الجنوبية واللاتينية.

2- آتونيه Atole مشروب تقليدي ساخن يُصنع من دقيق الذرة، منشأه أميركا الوسطى.

وتوقعاتهم عالية. ربما أنت لا تدرك هذا لأنك تعيش في برجك العاجي، لكنكَ أسطورة، بالنسبة إلى كثير من الناس. الجميع في الأرجاء يعرفونك.

- أنتَ تمدحني يا أبناه، تابع تابع، لا تتوقف.

- ولكن عليك أن تضع في اعتبارك، أيها الطريق السريع، أن ثمة أشخاصاً لا يحبونك كثيراً بالضرورة. جميعهم يعرفونك، والبعض مُعجب بك، ولكن البعض الآخر لا يحبك مثقال ذرة. وربما هناك من يكرهك.

- أراكَ تحاول التخفيف من حدة أمر ما، حسناً، مثل من؟

- ابنكَ مثلًا.

- هل سيدهارتَا آتِ؟

- بالطبع.

- ولكنك أخبرتني أن مجموعة من كبار السن الأثرياء سيحضرون لشراء الأسنان. هذا ما اتفقنا عليه.

- بلـى، ولكن عندما سمع سيدهارتـا بأنك سـوفـ تـبع جـزـءـاً من مـجمـوعـتكـ الأـسـطـوـرـيـةـ، رـغـبـ فيـ رـؤـيـتـكـ عـلـىـ أـرـضـ الـوـاقـعـ. إـنـ فـضـولـهـ لـرـؤـيـتـكـ هوـ الـذـيـ سـاقـهـ إـلـيـكـ.

- يا حبيبي، «اكتملَ النقل بالزعور!»

- كنتُ أخشى أنك ستقول شيئاً مثل هذا.

- وما الذي تتوقعه؟ أنا بائع جادّ في المزاد العلني، ولم آت إلى هنا بصفتي مهرّجاً لأحد.

- لا تغضـبـ، لمـ يـقلـ أحـدـ ذـلـكـ، فـقـطـ تـذـكـرـ أـنـ هـذـهـ الـكـنـيـسـةـ تـمـرـ فيـ أـرـمـةـ.

- نـعـمـ مـثـلـمـاـ قـلـتـ ليـ سـابـقـاـ.

- فإذاـنـ، هلـ أـنـتـ مـسـتـعـدـ أـيـهـاـ الطـرـيـقـ السـرـعـ؟

- إـنـيـ أـسـتـعـيدـ هـدـوـئـيـ يـاـ أـبـتـيـ.

- هـذـاـ حـسـنـ.

- شـيـءـ آخرـ فـقـطـ أـيـهـاـ الـأـبـ. هلـ تـعـرـفـ قـصـةـ «ذـاتـ الرـداءـ الأـحـمرـ»

بـالـمـعـكـوسـ؟

- عـفـواـ؟

- إنني أردها دومًا قبل البدء بالمزادات: إنها تحل العقدة من لسانى، وثريتُ فكى. ربما تؤذ قولها معي؟
- وكيف تُقال القصة؟
- الرغيدة ذات الرداء الأحمر كانت تمشي عبر الباغة^(١)، لا لا لا لا، عندما ظهر فجأة ذئب كبير أشعر.
- رائع أيها الطريق السريع، رائع. استمر في ترديدها، وفي تمام العاشرة والربع ادخل إلى الكنيسة من باب غرفة المقدسات، وأكون قد منحت مباركتي النهائية. يتنهى القداس تمام العاشرة والنصف. في غرفة المقدسات ستتجدد صبي المذبح، وسيعطيك عقدها لتوقيع عليه؛ مجرد إجراء شكلي. ثم سيرشدك إلى المنبر حيث ستباشر المزاد العلنى، اتفقنا؟
- فلينكن، يا أبيانا.
- جيد.
- اسمع يا أبي، هل هو فتى صالح؟
- من؟ سيدهارت؟ إنه عامل مُجدّ.
- ماذا يعمل؟
- يعمل في الحراسة مثلما كنت تعمل. يعمل أميناً فنياً في المعرض المجاور لمعمل العصير، وليس في المعمل نفسه.
- يا للعجب! كان والدي يقول دوماً إن علم الوراثة مليء بالمعجزات.
- على أية حال، لقد تأخر الوقت وعلى الدخول إلى الكنيسة لارتداء ثوابي. هل نحن جاهزان؟
- هل بوسعي أن أقول شيئاً أخيراً يا أبي؟
- نعم، هات ما عندك.
- مع فائق احترامي، ولا أقصد السخرية أبداً، هناك لطخة وردية على شاربك.

- الصغيرة ذات الرداء الأحمر كانت تمشي عبر الغابة.

اختفى الأب لوبيجي تحت قوس الرواق، وهو يمسد شاربه ولحيته ويدُه ملفوقة بطرف رداءه الكهنوتي. بينما واصلت ترديد القصة المعكوسة لذات الرداء الأحمر يبني وبين نفسي حتى حلول الساعة العاشرة والربع، وأنا أدور في الساحة شبه المهجورة قبالة الكنيسة: إلى أين أنت ذاهبة الميو أيتها الرغصنة يا تاذ الدراء الأحمر؟ إلى لمنز يتجد في الباغة⁽¹⁾.

ثم تبيّنت فجأة وجه سيدهارتا من بين أبناء الرعية الداخلين عبر الباب في مجموعات صغيرة؛ كان الفرق الصغير صورة طبق الأصل مني. لم أره منذ أن تركت فلاكا، لأن تلك الخنزيرة القدرة حرمته علي. ولكن ذلك لا يعني أنني لم أقم بواجبي: كنتُ أرسل شيئاً لرعاية الطفل كل شهر، حتى بلغَ مجموع حساباتي ثمانية عشرة سنة، ثم توقفت عن إرسال المال، إذ لافائدة من تربية الطفّيلين.

بينما كنتُ أتبعة من طرف عيني؛ رأيتُ سيدهارتا وهو يدخل الكنيسة فداهمني شعورٌ بنوبة قلق وشيكّة. وأحسستُ بعرق بارد في راحة يدي، ورعشة في الفخذين والأرداف، وبحاجة ملحة إلى التبول، ورغبة بالالتفاف والهرب. أكان من الممكن أن وجود ابني قد أضليّني عن مَسْعَاي؟ قعدتُ على حافة حوض زهور ثم استحضرت صورة مُعلمي كارلوس كييتا يوشيميتو، وفريد عصره ليروي ڨان دايك. وفكرتُ في نفسي، أنا الطريق السريع！ أفضل بائع في المزاد العلني بالعالم، لم أكن أباً سيئاً، بوعي تقليد جانيس جوبلين بعد كأسين من الرّوم. وأستطيع إيقاف بيضة على رأسها، مثلما فعل كريستوف كولومبوس. كما بإمكانني الطفو على ظهري. أو كلاهوما باع مقصاً بالمزايدة، والحارس الإمبراطوري باع روما بأكملها في مزاد علني. وأنا أيضاً، من الواضح أنني من الطراز الرفيع ذاته، بإمكانني إجراء مزاد علني لبيع أسنانى الشمينة. إتش، نبي، سَن، شيء، غو، روك، شيش، هاتشي، ومن ثم سلك الذئب الكبير الأرعش الطريق الأقصر عبر الباغة إلى لمنز الدجة.... والتهمها!⁽²⁾

-
- إلى أين أنت ذاهبة اليوم أيتها الصغيرة يا ذات الرداء الأحمر؟ إلى منزل جدتي في الغابة.
 - ومن ثم سلك الذئب الكبير الأشعـر الطريق الأقصر عبر الغابة إلى منزل الجدة.. والتهمها.

في غرفة المقدسات، كان بانتظاري فتى المذبح، شابٌ طويل ونحيل عرف عن نفسه باسم إيميليانو مونجي⁽¹⁾. ناولني عقداً لكي أمهرهُ باسمي. متوجهاًلا الصياغة المعقدة، وقعت صفحات العقد الواحدة تلو الأخرى، ثم جلستُ ألهو بالقلم وأقلبه بين أصابعِي مثل الهليكووتر إلى أن ظهرَ صبي المذبح ثانية في المدخل وأومأ لي.

كانت الكنيسة ممتلئة عن آخرها، وصُعدتْ برائحة «التالك» القوية في الهواء؛ أعتقدُ أن الطاعنين في السن يستخدمون التالك مثل الأطفال الصغار. لدى خروجي من غرفة المقدسات، وبينما كنتُ في طريقِي إلى المنبر، وضعْتْ كفي الأيمن على عينيّ ومسحتُ القاعة بنظرة واحدة مطولة، إلا أنني لم أستطع تمييز سيدهارتَا في الحشد المتهلل. كنتُ في ذلك الوقت مُتلهمًا إلى حدّ ما لرؤيته، وجعله يراني، لإثارة إعجابه. خلفَ المنبر، الذي ارتقيته بتردد، كانت مجموعة أسنانِي مصفوفة على طاولة معدنية طويلة. أدرتُ لها ظهري بشيء من الحزن. صعدَ الأب لوبيجي، وضعَ ذراعه حولَ كتفي، ثم همسَ في أذني، مثلَ مدرب كرة القدم، أرِهم قيمتك، أيها البارع!

جذبْتُ نفساً عميقاً وبدأت:

أعزائي أبناء أبرشية القديسة أبولونيا، في هذا اليوم رعيتنا بحاجة إلى كرمكم وإرادتكم والتزامكم. ولكن الكلمات خرجت مني كأنها نبرة سياسية غابر. حاولتُ تعديل صوتي، أن أشربه بشيء من الحماس، وأن منحَ جمهوري ابتسامة عريضة بارزة الأسنان. لدينا هنا اليوم قطع ذات قيمة كبيرة، بما أن كل قطعة منها تنطوي على قصة مفعمة بالعبر الصغيرة. هذه القصص مجتمعة تذكرنا بالمعنى الحقيقي بوحد من أهم نصوص الحكم في الكتاب المقدس: «العين بالعين، والسن بالسن». هذا القول المأثور الشهير ليس دعوة للانتقام، كما هو شائع، وإنما هو دعوة إلى تقدير التفاصيل الصغيرة في الأشياء. الله يكمنُ في تفاصيل الأسنان.

توقفتُ من أجل التصديق. لكن الجمهور اكتفى بالنظر إلى بصمت الماشية المُتشَكّك.

- 1- إيميليانو مونجي (1978): روائي وكاتب قصة قصيرة مكسيكي.

تمكنتُ من الحفاظ على تركيزِي، وواصلتُ الكلام وقد رفعتُ صوتي قليلاً: جميع أصحاب هذه الأسنان الأصلين أعتبروا من الطفيليَّات الاجتماعيَّة، كُسالٍ وما فلحو في شيءٍ يُذكر، قد عانى العديد منهم من العنة والخرف، ومن جنون العظمة، وهوس الكتابة، والمأْنحولية، والهوس الشبقي، ومن الهوس الحاد بالأنَّا. ولكن على الرغم من كل تلك الصفات السلبية كانوا أصحاب أرواح عميقَة مُتبَحِّرة وأسنان باهرة. بعبارة أخرى، كما قال عمِي ميغيل سانشيز فوكو^(١)، فيما يتصل بشيء آخر، إن هؤلاء الرجال والنساء يُمثِّلون «حيوات استثنائية تحولت إلى قصائد غريبة من خلال تقلبات القدر التي لا يعرفها أحد»..

وإذا ما نظرنا إليها كمجموعة، فإن أسنان هؤلاء الأشخاص السيئيَّة السمعة، بحسب المصطلح المعهول به في المزاد العلني، هي «بقايا مجازية». وليس عليك أن تكون مؤمناً بالخرافات لكي تعي أن بعض الأشياء يمكنها تمرير صفاتها القوية إلينا عندما تُستخدم استخداماً صحيحاً.

اضطُررتُ إلى كبح جماح نفسي لثلاً أبالغ في الكلام، لأنَّه وكما يُبيَّن كيتيليان: «عند استخدام المبالغة ينبغي توخي بعض الاعتدال، لأنَّه وعلى رغم أن كل مبالغة لا يمكن تصديقها، فإنه يجب عدم الإسراف بها، بما أنه ما من طريقة أخرى كما المبالغة يهوي بواسطتها الكُتاب بسهولة في الأسلوب المصطنع (ακακογηλία)، أو التكلُّف المُفرط».

سوف أقصُّ عليكم القصص المذهلة لهذه الأسنان جميعاً، وسوف أحثُكم على شرائها، وأخذها إلى منازلكم، واستخدامها، أو ببساطة الاحتفاظ بها باعترازٍ إلى أبد الآبدين. نعم، إلى الأبد. ثم أردفتُ بالقول -مهوًّلاً الأمر قليلاً بنبرة تهديد - وخلاف ذلك، إن لم تجد هذه الآثار مالكاً في نهاية الجلسة، فسوف تُبَاع خارج البلاد. وآخر ما نريده هو أن يسلب الآخرون القليل الذي نملكه.

-1 إشارة إلى الفيلسوف الفرنسي الشهير ميشيل فوكو.

-2 **Κακογηλία**: وردت هكذا في النص الأجنبي وهي مفردة إغريقية تعني الأسلوب المُتعَمَّد أو التقليد أو التنافس.

لاحظت أن هذه الحجّة الأخيرة، على الرغم من كونها غير صحيحة تماماً، فإنها بدأت بأسير قلوب جمهوري الاشتراكيين، أعضاء حزب جبهة الكاردينال لإعادة الإعمار الوطني، ودونَ مزيدٍ من الكلام، استدرت نصفَ دورة، وتوجهت نحو مجموعة الأسنان، التقطت القطعة الأولى، ورفعتها عالياً وأنا عائدٌ إلى المنبر، مثلَ عرافةٍ مستغرقةٍ في نشوتها في معبد دلفي^(١)، وصدقـت بتـرنيـتي، بالـمهـارـة والـسـحرـ اللـذـين لا يـسـطـعـ الإـتـيانـ بهـما إـلاـ العـظـامـ أـمـثـالـيـ.

القطعة المبالغ بها رقم 1

إن أول قطعة لدينا هي سنٌ في حالة متدهورة نوعاً ما. ومع ذلك، ومع الأخذ بعين الاعتبار قدمها، فإن حالتها جيدة عموماً، وبواسع المرء أن يقول إنها ممتازة أيضاً. إن التسطيح البارز لطرف السن يقود إلى الافتراض بأن مالكها الأصلي، السيد أفلاطون، قد تحدث وأكل باستمرار. كان طول السيد أفلاطون 1.65 متر، وعرضه 85 سم؛ كان متوسط القامة لكنه متين الجسد، ولله بُنية محارب. كانت له لحية صوفية قطنية طويلة، لونها بنيٌّ فاتح؛ وكان له شعرٌ كثيف من نفس اللون والملمس. كان السيد أفلاطون يرفل بالأزياء التقليدية لها تيك الأيام، ويرتدى رداء فضفاضاً دونَ حزام. ولم يكن يلبس الصنادل.

في إحدى المرات قارنَ السيد أفلاطون بين فترة بزوغ الأسنان ووقوع الإنسان في الحب: «في هذه الحالة تدخل الروح في سورة من الانفعال والهيجان، وهذه الروح التي بدأت أججحتها للتو بالنمو، يمكن مقارنتها بطفلٍ تلتهبُ لثته وتهيج بظهور أسنانها الأولى»، جميل، إلا تعتقدون ذلك؟

- 1 - كاهنة دلفي: إشارة إلى «بيشا» عرافة معبد (أبولو) دلفي Delphi الكائن في مدينة دلفي اليونانية، وكانت بيضا تتلقى النبوءات مباشرة من الإله أبولو. اعتقاد الإغريق بقداسة معبد دلفي في نظر الإله أبولو، ويعتبر هذا المعبد الأقدم في بلاد اليونان القديمة، وقد بات مزاراً يونانياً دولياً.

توقفت مؤقتاً للحصول على تأثير أكبر. ثم بدأت نسائم الصباح الباردة تُسري عبر الكنيسة من الباب الرئيس العالى. وانتابنى إحساس بأن شعاعاً من النور الإلهي نزل من السماء، وأنار المنبر بأعجوبة. رفعت بصرى ولاحظت على الفور أن صبي المذبح مونجى يُسلط الضوء الكشاف علىّ من إحدى الشرفات. لم يكن نوراً إلهياً إذن، إلا أنه بثَ في الحماس. أخذت نفساً: سيداتي وسادتي، من سيفتح المزاد على السن المُنقرة لأول رجل سيء السمعة لدينا؟ ارتفعت يدُ خجول من آخر الكنيسة: ألف بيزو. ثم تبعتها يدُ أخرى، يدُ أكثر حماساً: ألف وخمسمائة بيزو. ثم يدُ أخرى، وأخرى، وأخرى. وبيعـت القطعة بخمسة آلاف بيزو. ليس سيئاً إطلاقاً، على سبيل التحمية. اشتراها امرأة عجوز صغيرة القدّ ترتدي ملابس فاخرة. يقول كينتيليان موضحاً: «إن لدى جميع البشر نزعة طبيعية إلى تعظيم أو تحقير كل ما يعترضهم، ولا أحد يقنع بالحقيقة الممحضة!» وأعتقد أنه من أجل ذلك السبب بعـت السن الأكثر تهالكًا في مجـموعيـ بيـ مثل ذلك السعر المرتفع. صقلـت حـنـجرـتـيـ، وتابـعـتـ عمـليـ الشـائـنـ.

القطعة المبالغ بها رقم 2

صاحب هذه السن من أصل شمال إفريقي، كانَ متوسط الطول، وله ذراعان طويـلتـانـ نـحـيلـتـانـ، وبـشـرةـ نـاعـمةـ. ثـمـةـ جـدـلـ دـائـرـ فـيـماـ إـذـاـ كـانـ أسـودـ أوـ أـبـيـضـ اللـونـ. بـرأـيـيـ، كـانـ أسـودـ عـلـىـ نـحـوـ لـاـ لـبـسـ فـيـهـ. اسـمـهـ أوـغـسـطـسـ أـسـقـفـ هـيـبـيـونـ^(١)، وـكـانـ عـلـىـ رـأـسـهـ بـقـعـةـ صـلـعـاءـ أـشـبـهـ بـفـوـهـةـ بـرـكـانـ. وـإـنـ كـانـ بـمـقـدـورـنـاـ النـظـرـ فـيـ قـلـبـ هـذـاـ بـرـكـانـ لـاـ كـتـشـفـنـاـ وـاحـدـةـ مـنـ أـكـثـرـ الـذاـكـرـاتـ بـالـغـةـ التـعـقـيـدـ أـشـبـهـ بـمـتـاهـةـ، وـالـنـاجـمـةـ عـنـ اـتـحـادـ الطـبـيـعـةـ الـأـمـ مـعـ اللـهـ الـآـبـ. هـذـهـ

-1- القديس أوغسطينوس -أوريليوس أوغسطينوس- (430-354): كاتب وفيلسوف وعالم لاهوت كاثوليكي، ولد في طاغست في إفريقيا الرومانية (حالياً سوق أهراس، الجزائر) من أبي وثني وأم مسيحية. من أشهر أعماله «الاعترافات». وأما «هيبيون» أو «هيبيو» فهي مدينة عنابة الجزائرية، كانت من أغنى المدن الإفريقية التي سيطر عليها الرومان، وهي حاضنة القس أوغسطين الذي ما تزال كنيسته تطل على هذه المدينة الساحلية.

الذاكرة الاستثنائية التي كانَ بابها الأرضي المسحور هو بالضبط هذه السنّ التي أمامنا اليوم، قد قارنها القديس أوغسطين نفسه ذات مرة بريفٍ مفتوح لا نهاية له ولا حدّ، حيث تُخَزِّن كلَّ سُخَّان الانطباعات التي تدخل عبر الحواس. فبالإضافة إلى تبايناتها العديدة؛ هناك كلَّ الأشياء التي أؤتمنَت عليها؛ أعداد الرياضيات المجردة، أولى ذكرياته عندما كان صغيراً -صحيحة كانت أم مغلوطة- و حتى فيما هو أبعد من ذلك، كانت هناك كلَّ الأشياء التي بدأَت منسية ولكنها لم تكن كذلك في الواقع.

هل ترونَ هذه الفجوة في تاج السن؟ لو كان بقدورنا الولوج إلى تلك الفتاحة، والتحرك صعوباً عبر متاهة القنوات التي تربط الفم بالجمجمة حيث تتجلّد فيها الأسنان؟ في واحدة من حجيرات الدماغ الأكثر نأيَا سنجد هذه الذكرى: طالب البلاغة الشاب -وهو بالطبع أوغسطينيوس نفسه- يعاني من آلام فظيعة مبرحةٍ في أسنانه. الشاب محاط بالعائلة والأصدقاء، وهم يعتقدون جميعاً أنه سيموت عما قريب لأنَّ ألمه شديد لدرجة أنه لا يستطيع فتح فمه ليشرح لهم عن بلواه وعدايه. وفي لحظة معينة، استجمعت قواه وكتب على لوح شمعيّ: صلوا من أجل عافيتي. رفع الأهل والأصدقاء أكفهم بالدعاء وشفَّيَ الشاب الصغير. لقد كانت معجزة. وقرر حينذاك أن يكرّس حياته لله بواسطة كتاب بدأ بتأليفه بعد سنوات قليلة فقط، وكان ذلك كتابه الشهير «الاعترافات». نعم صحيح، هذا الرجل النبيل ألفَ كتاب «الاعترافات» العظيم بسبب وجع في الأسنان. من سيفتح باب المزايدة على ضرس «أوغسطين أسقف هيبون» الراهن بالذكرى؟

أظهرَ العديد من أبناء الأبرشية اهتماماً. عرضَ المزيد الأول خمسةٌ بيزو. أراد التالي عرضَ مبلغ أقلَّ وليس أكثر، مستجدّاً تعاطفيًّا بالادعاء أنه أصيب بالحرف مؤخراً، وأنه بحاجة حقاً إلى تلك السنّ أكثر من أي شخص آخر. بيد أن أصحابه على المقعد سارعوا إلى إسكاته، وأجبروه على القعود، محتاجين بأن قضيته ليست حالة خاصة. في نهاية الجولة، اشتربت سنّ القديس أوغسطين سيدة شاعرة، لها وجه وجسم بومة، بثلاثة آلاف بيزو. تناولت السنّ الثالثة من على الطاولة خلفيًّا، وعدت إلى المنبر.

إنَّ صاحب هذه القطعة رجل ذو مكانة مرموقة، ولُهُ تقاطيع متناغمة، ووجهُ حسن لافتٌ للنظر. عمِّدَ باسم فرانشيسكو بيتاراكو⁽¹⁾، ولكن درجة تسميته بيتاراك، على ما أعتقد لأنَّه بدا أكثر بطريركية. كانَ شاعرًا وكاتب أغان، وكانَ كسولاً مثلهم جميعاً، وكذا كانَ مُتقلياً لا يثبت على حال، لكنه كانَ بارعًا.

منذ بضع سنوات، عَمَدت مجموعة من العلماء إلى فتح قبره، لأنَّ الحكومة الإيطالية الموقرة أرادت الحصول على نسخة دقيقة ونهائية لوجهه لإحياء الذكرى المئوية السابعة لوفاته. لدى إعادة تجميع الجمجمة، اشتبه العلماء في أن تلك العظام على الأرجح تخصّ امرأة. كما أنهم أجروا اختبارات الحمض النووي على الأضلاع والأسنان القواطع. بعد عدة أيام، أدلَّ الطبيب كaramيللي، رئيس فريق العلماء، بتصرِّح عام أشارَ فيه إلى أن الاختبارات أكَّدت شكوكهم، كانَ الرأس «ملفقاً». أُلقي اللوم بفقدان الرأس الأصلي على الأب توماسو مارتينيلي⁽²⁾، وهو قسٌ مسكون من القرن الرابع عشر، الذي بالإضافة إلى ذلك اعتبرَ أنه كانَ مدمناً على الكحول. دونَ مزيدٍ من الأدلة، أدينَ مارتينيلي ببيعه رأس بيتاراك الجميل لبعض المقامرين من أجل شراء عدد قليل من براميل النبيذ. ومالم يخطر في بال أي سياسي إيطالي هو أن الجثمان في القبر يخصُّ شخصاً آخر، وأنَّ الرأس كانَ للسيد بيتاراك. بإمكانني أن أؤكِّد لكم أنَّ هذه إحدى أسنان بيتاراك. أحد الأدلة التي لا يمكن دحضها هو أنَّ هذه السن انعكاس دقيق لشخصيته. الأسنان هي النافذ الحقيقة للروح؛ إنها اللوح الفارغ الأبيض الذي نقشت عليه جميع فضائلنا ورذائلنا. امتازَ السيد بيتاراك بمزاج سريع الغضب، وبذكاء حادّ، وبالضعف حيال الملذات الحسية؛ كانَ أكثر شبقاً من الماعز، ومن الهيئن تخمين ذلك بـإلقاء نظرة واحدة فقط على طول هذا الناب. ويُقال إنَّ بيتاراك

-1 فرانشيسكو بيتاراكو (1374-1304): باحث وشاعر وفيلسوف إيطالي، وأحد إنسانيي النهضة المبكرين. عُرِّف أيضًا بـ«أبي الإنسانية».

-2 توماسو مارتينيلي (1827-1888): كاردينال كاثوليكي روماني.

شُوهدَ يوماً على باب كنيسة القديسة كلارا طوال ساعات اليوم. كان الرجل المحترم زير نساء حقيقي. كان يُلقي على أسماعهن عبارات الغزل، ويُغتنى كلمات فاحشة من تأليفه، ويُحذق بشهوانية في كواحلهن ورقباهن. ظلّ لسنوات وهو يضيق زوجة الكونت هوغو دو ساد؛ الحسناء الرصينة لورا دي نوفيس⁽¹⁾. بطبيعة الحال، لم يحظَ قط باهتمام السيدة الرزينة المحتشمة.

ومن المعروف أيضاً أن هذا الرجل الشائن قد دأبَ على كتابة رسائل حميمة إلى أشخاص، كانوا وبصورة واضحة، متخيلين، وما هو أسوأ من ذلك، كانوا متوفين في تقدير الجميع. أطلق السيد بيتراركو على نتاج هذه الممارسة الشيطانية اسم «رسائل حميمة»، و«رسائل الشيخوخة». فيرأيي، «الشيخوخة» ملائمة أكثر من «حميمة». الشيخوخة، أو لنقل، دون نية للإساءة إلى الحاضرين، «الخرف»: لقد كتبَ رسائل خرفٍ إلى الموتى. جمعَ بيتراركو جميع الرسائل التي كتبها، وتمكن في المحصلة من جمع 128 رسالة للشيخوخة و350 رسالة حميمة. كان جاماً جريئاً، ومتकاسلاً بصورة مزعجة ومحمقاء، ومتقد الذكاء أيضاً. إن عمله المخزي وعقربيته لا نظير لهما، لذلك أجذني في هذه الحالة مضطراً إلى وضع تعسيرة عالية. فمن سيفتح المزاد بألف وخمسة بيزو؟

رفع سعر المزايدة مئة بيزو رجلٌ أصلع بالكامل تقريباً، لُه رقبة هزيلة ووجه ممتليء مربع الشكل مثل صندوق التبرعات. وقد لاحظتُ عندما فتح فمه للمناداة بالمبلغ بأنه ليست فيه سنّ واحدة. ولم يرفع أحد آخر يده. بيعت السنّ القاطعة بـألف وستمائة بيزو. الأب لويجي، وافقاً بجانب صفت مقتنياتي مثل الكلب سيربيروس⁽²⁾، مرّر القطعة الرابعة إلىي، ورفع حاجبه ليحثّني على المواصلة.

-
- 1 لورادي نوفيس (1310-1348): كانت زوجة الكونت هوغو دو ساد (سلف عائلة ماركيز دو ساد). ومن المحتمل أن تكون لورا هي مُلهمة فرانشيسكو بيتراركو في قصائده.
 - 2 سيربيروس Cerberus: في الأسطورة الإغريقية هو كلب شرس بثلاثة رؤوس مهمته الوحيدة الوقوف على بوابة الموتى أو العالم السفلي لمنع الأحياء من الدخول ومنع أرواح الموتى من الخروج، ولقد عُرف باسم كلب الجحيم.

لسنوات عديدة، كانت هذه القطعة واحدة من أكثر القطع المرغوب بها في سوق المقتنيات الفموية المحمولة. كان صاحبها رجلاً قصيراً القامة، عريض الردين، له أنفٌ مستدقٌ وجبهة مثل مؤخرة الخنزير. لم يكن لجنون العظمة حدٌ في روح هذا الرجل المتشين ذي القامة القصيرة. في أكثر من مناسبة قال: «أنا أدرسُ نفسي أكثر من أي موضوع آخر، فأنا الفيزياء والميتافيزيقيا لنفسي». ولكم أن تخيلوا، كان طوله بالكاد 1.47 متر كان شعره خفيفاً أشعث، لكن أفكاره كانت قوية وخصبة.

كان لدى السيد مونتين⁽¹⁾، المالك الأصلي لهذه السن، نظرة هادئة صادقة. وكان في وجهه تعبيرٌ ما بين حزنٍ ومرح. غير أن عدم كفاءته في مزاولة الأنشطة اليومية قد وصل إلى حد السخرية: فخطَّ اليدي في مخطوطاته كان غير مقروء؛ وكان عاجزاً عن طيِّ الرسالة جيداً، ولم يكن يعرف كيف يمتطي حصاناً أو أن يحمل صقرًا ويُطيّرها؛ ولم يكن له سلطة على الكلاب؛ ولا كان بمستطاعه التعامل مع الخيول. كان غير نافع بالمرة، على ما يبدو. وعلى الرغم من ذلك، فقد تمعن بصحة جيدة في الفم، ما عدا التهاب اللوزتين المتكرر. كان يُفضّل اللحوم نيئة تقريباً، بما في ذلك السمك. ولم يكن يحب أي نوع من الفواكه أو الخضروات باستثناء البطيخ. وربما هذا هو السبب في أنَّ السن في حالة جيدة. علاوة على ذلك، فإنَّ جودة السن فائقة: فهي صقيلة، ونحيلة، ومدببة بعض الشيء. وما سرُّ أسنانه الطويلة J'ai appris dès l'enfance à les frotter de ma serviette, et le matin, et à l'entrée et aussi de

«la table.

- 1- ميشيل دي مونتين (1533-1592): أحد أكثر الكتاب الفرنسيين تأثيراً في عصر النهضة الفرنسي. رائد المقالة الحديثة في أوروبا. وقد استلم كتاباته في المقام الأول من قصص قرأها وتتأثر بها كمثل قصص أوفيد وووقيع تاريخية من فيصر وتاكتيوس، وشذرات من السير الذاتية من بلوتارخ، ونصائح عن كيف تعيش الحياة من سينيكا وسفراط.

وهذا يعني، أنه تعلم منذ الطفولة أن يفركها بمنديلٍ كل صباح، وقبل الطعام وبعده. من سيفتح باب المزايدة على سنّ مونتين فاقفة النظافة؟

تدفقت موجةٌ من الحماس المُفاجئ بينَ المزايدين. وبعثت قطعتي المفضلة بستة آلاف بيزو. اشتراها امرأة عجوز لها وجهٌ من النوع الذي يسهل نسيانه، وبُنيةٌ يمتاز بها شعوب البحر الأبيض المتوسط. يالهُ من لغزٍ محير، لماذا تبدو جميع أجساد نساء البحر الأبيض المتوسط مثل الباذنجان بعد الخمسين！

بانتهاء جولة المزايدة تلك، بدأت أشعرُ كأنني يوحنا بولس الثاني⁽¹⁾. تخيلتُ نفسي أدخلُ ملعباً مزدحماً، وألوحُ للحشد الهائل، بيدٍ مرفوعةٍ عالياً؛ وكنتُ جديراً بإثارة حسدِ موسوليني⁽²⁾، وحسدِ مادونا⁽³⁾، وستينغ⁽⁴⁾، وبونو⁽⁵⁾، وللينون، وليريوي ثانِ دايك نفسه. في الأخير، لمحتُ سيدهارتَ؛ كانَ جالساً على مقعده في آخر الكنيسة. تشجعتُ، وبشرتُ في عرض القطعة التالية دونما توقف.

القطعة المبالغ بها رقم 5

واحدة فقط من أسنان السيد روسمو⁽⁶⁾ بقيت في الوجود، وأيّما سنّ هي ! كانَ لهذا الرجل الجذاب السيئ السمعة ملامح أرستقراطية، حيثُ الضمير

-
- 1- يوحنا بولس الثاني (1920-2005): ببابا الكنيسة الكاثوليكية رقم 246 ما بين عامي 1978-2005). كان البابا البولندي الأول في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية.
 - 2- بينيتو آندرريا موسوليني (1883-1945): حاكم إيطاليا ما بين عامي (1922-1943).
 - 3- مادونا لويس كيكون (1958): مغنية ومنتجة وناشطة إنسانية أميركية من أصول إيطالية.
 - 4- ستينغ (1951): اسمه الحقيقي جورдан ماثيو سومتر، موسيقي وممثل ومنتج ومغن وكاتب أغاني إنكليزي من نورثمبرلاند.

- 5- بونو (1961): بولوديفيد هيوسون، ويُعرف باسمه المسرحي بونو، وهو مغن وكاتب أغاني إيرلندي.
- 6- جان جاك روسو (1712-1778): الكاتب والأديب والfilosof الفرنسي، يعدّ من أهم كتاب عصر التنوير.

المتيقظ الحذر يطغى على أدنى أثرٍ من تعبير الوجه. كانت عيناه معبرتين رشيقتين، ولكن نظرته لم تكن حازمة. وعلى الرغم من ذكائه الذي لا يمكن إنكاره، فإن روح الدعاية لديه كانت طفولية. وكان إيمانه شديداً بفطرة الإنسان الطيبة وجلالته على الخير، وفطرته هو بالأخصّ. كان هذا الرجل النبيل يرتدي حشوات الكتف، بما أنه كان يفتقدُ نوعاً ما إلى ذلك الجزء من الترکيب البنيوي. ومع ذلك، حظي بتعويض عن هذا النقص بفكٍ رجولي -واسع مربع مع ثغرة طفيفة في المنتصف- حيث اصطفت بداخله مجموعة من الأسنان التي ظلت دائماً بمنأى عن أنظار الآخرين. كانت أسناناً بشعة للغاية لدرجة أنه ما أظهرها قط، ولا حتى في الخفاء. كان مدركاً حق الإدراك للوحشية المروعة لأسنانه. كان قارئاً نهماً لبلوتوارخ⁽¹⁾، الذي تعلم منه بعض الفضائل وكثيراً من الرذائل. كتب في «حيوات موازية» كانت الموسم فلورا لا ترك العشيق يمضي دون التأكد من أن شفتيها حملتا آثار أسنانه. بعد قراءة ذلك، اعتاد السيد جان جاك أن يطلب من عشيقاته أن يغضبنه قبل المغادرة. لكنه لم يكن يردد بالمثل، لأن أسنانه كما قال كانت: فظيعة وبشعة. ولم يكن يبالغ.

وحقيقة الاحتفاظ بسنٍ واحدة من أسنان روسو لا تعود إلى عاداته الصحية، التي كانت عادات رجلٍ محترم، ولكنها تعود إلى سوء حظه. أمضى السيد روسو شطرًا كبيراً من حياته في المشي. مشي المتسلك عديم النفع كما لو أن رفاهية بني البشر معتمدة على خطواته. ذات يوم خرج في نزهة فأطاح به كلب. على ما يبدو، اقترب منه الكلب بسرعة عالية، وتشابكَ بين ساقيه للحظات؛ وطُوّح بصاحبنا المشين فهوى في الخندق الذي يحدّ الطريق، وفقد سنًا، وربما هي ذات السن التي لدينا هنا اليوم. إنها شنيعة لدرجة أنها تستحق تذكاريًّا. هذه القطعة، على وجه الخصوص، تُشبه سلماً حلوانيًّا يؤدي إلى كوة سقف تَغْطَّت ذات يوم بالجِير. والآن، من سيفتح باب المزايدة على سن روسو الوحيدة المكسوّة بالجِير هذه؟

-1- بلوتوارخ (نحو 119-46 ميلادية): يُعرف أيضاً باسم بلوتارخس، وفلوطرخس. وهو فيلسوفٌ ومؤرخٌ وقسٌ يوناني. من أشهر مؤلفاته «الأخلاق» وهو مجموعة من المقالات والخطب. وكتاب «حيوات موازية» وهو سلسلة من 48 سيرة ذاتية لرجال من الإغريق والرومان النبلاء.

الناس مروّعون ودنيئون حتى عندما لا يعتمدون أن يكونوا كذلك. أعتقد أنهم عرضوا مبالغ أعلى مما سبق. فقط برغبة منهم لتفحص السن التالفة. بعد جولة مزايدة ساخنة، اشتري السنّ رجلً ذو لكتة أجنبية، له أسنان كاملة وابتسمة غامضة، مقابل 7500 بيزو.

القطعة المبالغ بها رقم 6

لم يسبق أن كان لدى شخص مثل هذا الفك السفلي البارز لدى السيد تشارلز لامب⁽¹⁾، الذي عانى من هذا البروز حتى إنه اضطر إلى الإبقاء على شفتين منفرجتين قليلاً طوال الوقت. فإن لم يفعل ذلك، احتك أحد أنبياه بـلسانه وشفته العليا، مُتسبياً بـجُملة من القروح المؤلمة للغاية. وليس من المجازفة التكهن بأن كل ما كتبه السيد لامب -وما أكثره وما أجوده- كان نتاج الترتيب المتعرج لأسنانه. كان لديه تأتأة تلميذ مدرسيّ، وكانت كتاباته متعلّمةً بالقدر ذاته. كتب ذات مرة رسالة مُتعلّمةً إلى صديقه ورددورث⁽²⁾، قائلاً: «لدي الآن سنّ حادة الحافة تَخِزُ لسانِي؛ في منتصف اللسان، حيث أشعر بتهيج شرس، وتستمر الحالة، فاللسان يَخِزُ نفسه مثل الأفعى على حافة مبرد، والسنّ تستثير اللثة في الداخل وتعذّبها، اللسان والسنّ، السن واللسان، في حركة حثيثة دائبة، وأنا من عليه تسديد الحساب، إلى أن صار لسانِي حارّاً مثل الكبريت».

ثمانمائة بيزو نظير سنّ لامب المتعلّم! من سيفتح المزايدة؟ من سيعطيني أكثر؟

لكنّ يداً واحدة لم ترتفع، لذا واصلتُ مع القطعة التالية.

-
- 1 تشارلز لامب (1775-1834): كاتب مقالة إنكليزي وشاعر وعالم بالأثار. اشتهر بـ«مقالات إيليا» وكتاب الأطفال «حكايات من شكسبير» الذي شارك في تأليفه مع شقيقته ماري لامب. صُنف على أنه أكثر شخصية محبوبة في الأدب الإنكليزي.
 - 2 وليام وردزورث (1770-1850): شاعر إنكليزي رومانسي، ساهم مع الشاعر صموئيل كوليريدج بإطلاق العصر الرومانسي في الأدب الإنكليزي.

أمامنا هنا سنُّ كبير الكسالي عديمي النفع؛ السيد غلبرت كيث تشيستerton⁽¹⁾. كان يبلغ من الطول 180 سم، وزنه 110 كغ. كان عريضاً مثل البراميل التي يُعتقَ فيها النبيذ الرخيص. وكان اللحم في قفا عنقه متداًلاً فوق ياقته، وكان خدّاه منفوخين، وعيناه مبطّتين من العبوس الدائم نوعاً ما. وكان يشرب الحليب بكميات مثيرة للعجب. مكتبة سُرٌّ من قرأ

قد تكون السن في حال يُرثى لها، ولكنها جذابة حقاً. يُعتقد أن الضرر الذي لحق بهذه السن ناجم عن ميل السيد تشيستerton، وباعتراف منه، إلى مضغ الكرات الزجاجية. أقتبسُ من الذاكرة: «نحن على صواب حين نقول إننا نعطي الحجارة مقابل الخبر: ولكن في المتحف الجيولوجي رخامٌ قرمزيٌّ داكن، وقطع من الأحجار باللونين الأزرق والأخضر، يجعلني أتمنى لو كانت أسنانني أقوى⁽²⁾».

ثمة قصة عن هذا الرجل النبيل أحبها بصفة خاصة. في يوم من الأيام غادر منزله، وهو يمضغ الرخام ربما، عاقداً العزم على الرسم بالطباشير على ورقه بنية اللون. دسَّ في جيده ستة ألواح من الطباشير ذات الألوان الزاهية، وتأبَّط بعض أوراق بُنية، وخرج -بقبعة وعصا وسترة- ليصوّر العالم من حوله. وفي لحظة معينة، عندما وصل فرس النهر الكسول هذا إلى الريف الإنكليزي الهدائِ في الأراضي المنخفضة، اقتربت منه بقرة مدجنة -وهي بالمناسبة الثانية بين الكائنات الأكثر غباء في مملكة الحيوان، أولها بالطبع الزرافة، وثالثها الكنغر الأسترالي-.

قام السيد تشيستerton ببعض محاولات فاترة لرسم البقرة بالطباشير،

-1- غلبرت كيث تشيستerton (1874-1936): شخصية أدبية شهيرَة في القرن العشرين. ناقدٌ وصحفي وفيلسوف إنكليزي، وكاتب للشعر والمقالات والروايات والقصص القصيرة، كما كان خطيباً وواعظاً مسيحيّاً. لُقبَ بأمير المفارقة. وهو مبتكر سلسلة «الأب براون» البوليسية.

-2- من مقالة لـتشيستerton بعنوان «اشتهااء الأرض» يروي فيها عن اشتهاهه لتناول المواد الصلبة.

إلا أنه سرعان ما لاحظَ أن موهبته تدنت عندما شرّعَ في رسم القائمتين الخلفيتين للكائن ذي القوائم الأربع. بعدَ أن رأَ الأمر لدقّيقتَه، قررَ أن يرسم، مُطْبِقًا على قطعة الطباشير بين أسنانه؛ قررَ أن يرسم الروح في هذا الحيوان اللّبون، بدلاً من منظره الخارجي. رسمَ الروح باللون الأرجواني وأضاف لها إضاءاتٍ فضيّة. نهاية القصة. من سيفتح المزايدة؟

رانَ صمتٌ طويل.

كررَتُ القول: من سيفتح المزايدة؟

يعتَسَنَ الكسول المستهتر بـألفين وخمسمئة بيزو فقط لا غير.

القطعة المبالغ بها رقم 8

بعض الأسنان تُوقِعُ بصاحبها العذاب كما هو الحال مع هذه السن التي تعودُ ملكيتها للسيدة فيرجينيا وولف⁽¹⁾. عندما كانت بالكاد تبلغ من العمر ثلاثين عاماً، افترضَ طبيب نفسي نظرية تزعم بأنَّ أمراضها النفسية متّأتية من البكتيريا المتراكمة حول جذور أسنانها. وقرر خلع الأسنان الثلاث الأكثر تضرّراً. لا شيءٌ تغيير. وعلى امتداد حياتها، خلعت عدة أسنان أخرى، ولم يشكّل ذلك أي فارق. لا شيءٌ على الإطلاق! rien de rien!⁽²⁾. أنهت السيدة وولف حياتها بنفسها، والعديد من الأسنان الصناعية في فمها. معارفها لم يروا ابتسامتها إلا في جنازتها. ويُقال، إنها عندما كانت مسجّاة في نعشها شبه المفتوح في متصف غرفة المعيشة، انتشرت ابتسامة على شفتيها فأضاءت ملامحها الحادة والذكية. من سيدفع ثمانية آلاف بيزو لقاء هذه السن المضيئة بالعذاب؟ هل من أحد؟

- 1 - أدالين فيرجينيا وولف (1882-1941): كاتبة إنكليزية من أيقونات الأدب الحديث في القرن العشرين، ومن أوائل مستخدمي طريقة «تيار الوعي» السردية. من أشهر أعمالها «السيدة دالاوي».

- 2 - Rien de rien: مثلما وردت في النص الأصلي، عبارة فرنسية بمعنى «لا شيء على الإطلاق». وهي عنوان أغنية شهيرة للمطربة الفرنسية إديث بيات.

عقب صمتٍ ثقيل، اشتراها رجلٌ طاعن في السن له وجه عنيف ولكن محترم، مقابل 8,900 بيزو. وبمجرد أن ناديتُ بالكلمة النهائية «بيع»، وقد طرقتُ على سطح المنبر المائل برأس المطرقة، سمعتُ زعيق طير بين الحضور.

فصاح أحدهم من فوره: اسكت يا جاسينتو!

إلا أن الزعيق تكرر. ثم لاحظتُ رجلاً قصيراً في الصف الثالث واقفاً على أحد المقاعد. خلع قبعته، ونظر إليّ كما لو من مكان فسيٍّ وفتح فمه ببطء ليتفوه بزعيق آخر. ثم ندت عن الجمع هممته تعدد تمييزها.

انبرى الصوتُ من جديد: اسكت يا جاسينتو، واقعد!

أيدَ الأمر عدد من الأشخاص. لكن الرجل تجاهل محاولات رفقاء المتقاعدين لمنعه، وأنا، بحكم السلطة التي أسبغها عليّ المنبر، أمرتهم بأن يدعوه و شأنه. زعَّ مجدداً، بصوتٍ أعلى هذه المرة وبثقة أكبر. خفتَ التهمة. ثم، وبرشاقة راقصة باليه محترفة، رفع الرجل ذراعيه إلى مستوى الكتفين، وما زال يزعق، وراح يرفف بهما على مهلٍ. لستُ من ي يكون بسهولة، ولكني أحسستُ بغضبة في الحلق. كان هناك شيء مُحزن وجميل في محاكاة هذا الرجل المسن من أبناء الأبرشية للطيران.

عندما انتهى السيدُ من محاكاة الطيران، قعدَ مرة أخرى على مقعده، واعتمَر قبعته. واجهتُ صعوبة في التقاط خيط عرض المبالغات من جديد. شيءٌ ما في ذاك الانقطاع المؤقت الذي أحدهُ الرجل المسن بطيرانه المستحيل على مقعد كنيسة الرعية قد مسّني في العمق.

القطعة المبالغ بها رقم 9

إنَّ قطعتنا ما قبل الأخيرة، سيداتي و سادتي، تنضح بجوًّ من الكآبة الصوفية. السن نفسمها تمساحية، ولكن هالتها تكاد تكون ملائكة. لاحظوا المنحنى؟ إنه كمثل جناح في ارتقاء. كان صاحبه، السيد خورخي فرانسيسكو إيسيدورو لويس بورخيس⁽¹⁾ رجلاً متوسط القامة. ساقاه القصيرتان النحيلتان

-1- خورخي لويس بورخيس (1899-1986): كاتب أرجنتيني، يُعتبر من أبرز كتاب القرن العشرين، إضافة إلى كونه ناقداً وشاعراً وله عدة رسائل.

تدعمان جذعه الذي كان متيناً وممشوقاً في آن معًا. كانَ رأسه بحجم ثمرة جوز هند صغيرة، ولهُ رقبة رفيعة مرنّة. كانَ مؤمناً بوحدة الوجود⁽¹⁾. وكانت عيناه ترفرفان من جانبٍ إلى آخر، لا يمكن لضياء الشمس اختراقهما ولكنهما مُستعدتين لتلقي نور الأفكار الجميلة والجيدة. كان يتحدى ببطء لكانما يبحث عن الصفات في العتمة. كم ستدفعون؟

لخيبة أملِي الكبيرة، دفعوا ألفين وخمسمئة بيزو فقط مقابل سنّ بورخيس الحزين.

القطعة المبالغ بها رقم 10

قطعتنا الأخيرة، أيتها السيدات والسادة، عبارة عن ضرس. صاحبه ما زال يسير على هذه الأرض بسُرُّح حيوان أسطوري، وبروح شبح سرمدي طافية. الضرس يخصّ السيد إنريكي بيلا ماتاس⁽²⁾، وكان مكتوبًا من قبل أن يكون. دعوني أوضح لكم الأمر، أن السيد إنريكي بيلا ماتاس المذكور أعلاه قد حلمَ يوماً بأن أحد أضراسه سقط بينما كان نائماً، وبأن رجلاً اسمه ريمون روسيل⁽³⁾ دخل غرفة النوم، وأيقظه من نومه، وصاخ في وجهه مثل رقيب أول، وأأملى عليه مجموعة من النصائح غير المنطقية تتعلق بعاداته الغذائية. وقبل خروجه من الباب، التقى روسيل الضرس الملقي بين الملاعات ودَسَّهُ في جيبِ سترته.

في الصباح المولالي، تحسّن السيد بيلا ماتاس أسناته ليتحقق فيما إذا كان خسرَ واحدة بالفعل. كانت جميعها موجودة وسليمة. وكونه شخصاً

-1 وحدة الوجود: الاتحادية أو وحدة الوجود مذهب فلسفـي يقول إن الله والطبيعة حقيقة واحدة (Pantheism): الكل هو الله)، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبر أن الله صورة هذا العالم المخلوق. وهي فكرة قديمة أعاد إحياءها بعض المتصوفة مثل محـيـي الدـيـنـ بنـ عـرـبـيـ، وابـنـ الفـارـضـ، وابـنـ سـبعـينـ وـالتـلـمـسـانـيـ. وقد نادـيـ بـوـحدـةـ الـوـجـودـ بـعـضـ فـلـاسـفـةـ الـغـرـبـ مـثـلـ سـبـيـنـوـزـاـ وـهـيـغـلـ.

-2 إنريكي بيلا ماتاس (1948): روائي إسباني له العديد من المؤلفات الحائزـةـ على جـوـائزـ وـالمـتـرـجـمـةـ إـلـىـ نـحـوـ ثـلـاثـيـنـ لـغـةـ.

-3 روسيل ريمون (1877-1933): كاتب مسرحي وشاعر وروائي فرنسي.

يؤمن بالخرافات إلى حدّ ما، فقد اعترمَ حينها كتابة قصة تجنّبًا لاحتمالية حدوث هذه الخسارة في الحياة الواقعية.

بعد سبع سنوات، وبينما كان يتناول القرىدوس الملكي مع صديقه سير جيو بيتوول⁽¹⁾ في بلدة بوتريرو في ولاية فيرا كروز، تحدّث السيد بيلا ماتاس عن حكاياته مع السنّ. على أية حال، في منتصف قصّته، انخلعَ الضرس وسقطَ في طبق القرىدوس الملكي. طلبَ منه السيد سير جيو بيتوول، وهو رجل حكيم حصيف ومتصوّف، أن يعطيه الضرس، بما أنه كان يعرفُ شاماناً⁽²⁾ في البلدة كان قد دفنَ أسنانَ أعظم الرجال والنساء، وأجرى لها طقوساً سحرية بقضاء تضمن لها الأبدية المباركة لها في ذاكرة البشر. سلّمه السيد بيلا ماتاس الضرس بشيءٍ من التردد، ولكنه كان واثقاً بالنهاية بأن صديقه سيفي بوعده.

كان ذلك الشaman من بوتريرو هو عمّي الأغرّ ذات الصيت، قدموس⁽³⁾ سانشيز، ابن عمتي الكبّرى تيليفاسا سانشيز. عندما توفّي عمّي قدموس قبل بضع سنوات، اتّصل بي ابنه، ابن عمّي، وهو أحمق لا يستحق مزيداً من الذّكر، ليبلغني بأنّ أباًه تركَ لي شيئاً في وصيّته، وإذا ما أردتُ تحصيل ميراثي على القدوم إلى بوتريرو في الحال. وهكذا ركبّت الحافلة في نفس الليلة.

إن ما تركه له عمّي قدموس، مثلما قد تكونون قد خمّنتم الآن، هو مجموعة الأسنان الشائنة التي دفنتها تحت شجرة مانجو وارفة في ضواحي

- 1- سير جيو بيتوول ديمينيغي (1933-2018): كاتب وروائي ومتّرجم ودبلوماسي مكسيكي.

- 2- الشامانية: دين بدائي من أديان شمالي آسيا وأوروبا، يتميّز بالاعتقاد بوجود عالم محجوب، هو عالم الآلهة والشياطين وأرواح السلف، وبأن هذا العالم لا يستجيب إلا للشaman وهو كاهن يستخدم السحر لمعالجة المرضى ولكشف المخبأ والسيطرة على الأحداث.

- 3- إشارة إلى قدموس الملك الفينيقي، أول الأبطال اليونانيين وأحد أعظم المحاربين في فترة ما قبل هرقل، في الأساطير الإغريقية هو ابن أجينور ملك صيدا الفينيقي وشقيق أوروبا، التي خطفها الإله زيوس كبير الآلهة اليونانية عندما ظهر لها بشكل أسد له جناحان وطار بها إلى مملكته ومن ثم تزوجها وأطلق اسمها على الأرض التي تقع غرب اليونان تكريماً لها ومن هنا جاء اسم تلك القارة المعروفة اليوم بقارة أوروبا. أصل الاسم قدموس فينيقي ويُعتقد أن معناه القادر من الشرق.

مدينة بوتريرو. وَفَصَّلَ لي في ورقة أن الحكومة سوف تُصادر الأرض في غضون بضعة أشهر، من أجل بناء محطة توليد الكهرباء. لذلك أوكل إلى مهمة التنقيب عن الأسنان المقدسة، وإيجاد مستقبل أكثر إشراقاً لها. وهنا مربط الفرس، يا أبناء الرعية الأعزاء، وهذا هنا السن الأخيرة من المجموعة. ضرس السيد المحترم بيلا ماتاس. من سيفتح المزايدة؟

بصراحة لا أذكر مقدار ما حصلت عليه مقابل الضرس. فقد كنت في سكرة الذهول الناجم عن المناخ شبه السام، لمزادٍ ناجح - حتى تلك اللحظة. إن البيع في المزاد العلني بالنسبة لي هو نشاط يُفضي بي إلى الإدمان الشديد، تماماً مثل المقامرة أو بعض المخدرات أو الجنس، أو الكذب بالنسبة إلى الآخرين. عندما كنت صغيراً، كنت أخرج من المزادات العلنية وببي رغبة في بيع كل شيء: السيارات التي أراها في الشارع، وإشارات المرور، والمبني، والكلاب والناس والحشرات التي عبرت مجال روئتي أثناء شرودي. كان أبناء الكنيسة في سُكُرٍ ونشوة أيضاً يفعل الأبخرة المخدّرة للمزاد. أرادوا المزيد. كان جلياً: أرادوا الاستمرار في الشراء. وأنا يعجبني إرضاء الناس، ليس بداعٍ من الخنوع والإفراط في الاحترام، ولكن لأنني ودود وأراعي مشاعر الغير. وبسبب الحاجة إلى مزيد من القطع، فقررت إذ خطرت لي فكرة عقيرية مردّها إلى الحماس الذي استحوذ علىي؛ قررت أن أطرح نفسي في المزاد العلني.

قلت: أنا غوستافو سانشيز سانشيز. أنا الطريق السريع المنقطع النظير. وأنا أسنانى قد تبدو لكم مصفرة وفي حالة مزرية بعض الشيء، ولكنني أؤكد لكم: إن هذه الأسنان كانت ذات يوم ملكاً لمارلين مونرو نفسها، التي ليست بحاجة إلى مقدمات ولا إلى صيغ مبالغة. فإن أردتم هذه الأسنان ينبغي عليكم اصطحابي معكم أيضاً. ولن أقدم مزيداً من الشروحات.

من سيفتح المزايدة؟ سألت بنبرة هادئة واثقة، وقد لمحت عيني سيدهارتـا المـسـمـرـتـينـ عـلـيـ.

كررت السؤال على الجمهور المندفع: من سيفتح المزايدة علىـ وعلـى أسـنـانـيـ؟ اـرـتفـعـتـ يـدـ. وـحدـثـ ماـ تـخـيـلـتهـ بالـضـبـطـ. اـشـتـرـانـيـ سـيـدـهـارـتـاـ مـقـابـلـ أـلـفـ بـيـزوـ.

مجنونٌ ذاك الذي يُطْبِقُ أسنانه أبداً
على تلك الكتلة الصخرية الصلدة والراسخة
من الماضي ..

الكتاب الثالث

الاستعارات

«يُطلق على الشيء تسمية ثابتة إذا كانت في كل عالمٍ ممكِنٌ تشيرُ إلى الشيء ذاته. ونحن بالطبع لا نقتضي وجود جميع الأشياء في كل العالم الممكنة. يُطلق الوصف المُحدَّد تسمية ثابتة على كائنٍ محدَّد إذا ما كان يصفُ ذلك الكائن أينما حلّ».

• شاول كرييك⁽¹⁾

كتبَ عمِي مارسيلو سانشيز بروست⁽²⁾ ذات مرة في يومياته:

«عندما يكون المرء نائماً، تحيطُ به سلسلة الساعات، وتعاقبُ السنين، ونظام الأجرام السماوية. وبدافعٍ من غريزته ينظرُ إلى هذه الأمور عندما يستيقظ، وفي لمحٍة واحدةٍ يدركُ موضعهُ الخاص على وجه الأرض، ومقدار الوقت الذي انقضى أثناء رُقاده، ولكنَّ هذه النُّظم من الممكن أن يختلط ترتيبها، وتنكسر صفوتها وتتحلل عراها⁽³⁾».

-1 شاول كرييك (1940): فيلسوف وعالم منطق أميركي.

-2 إشارة إلى الروائي الفرنسي مارسيل بروست (1871-1922).

-3 المصدر كتاب مارسيل بروست «غرام سوان».

لاأشعر بالارتباك أو كسر أي شيء عندما أصحو من نومي. كمثل جميع الرجال البسطاء، أنا غير قابل للكسر، ولست عرضة للاضطراب والبلبلة. في كل يوم أعود إلى عالم اليقظة مع اليقين الجميل والبسيط لانتصاري الصباغي المتواضع ولكن الثابت.

وأنا لست خارقاً للعادة. على العكس تماماً. تشير الدراسات العلمية الحديثة إلى أن أول ما تلاحظه الغالبية العظمى من الرجال عند الاستيقاظ صباحاً هو انتفاخ وصلابة أعضائهم الجنسية. وما من لغز في ذلك. خلال الليل، يضخ الجسم الدم للعضو الذكري للحفاظ على الحرارة الازمة من أجل صحته المتكاملة وعمله الطبيعي. ونتيجة لذلك، يستيقظ كثير من الرجال بانتصاب قوي وفخور، وتعمل تلك الحِدة عملَ المرساة الأولى في العالم أثناء الانتقال من النوم إلى اليقظة. لا تختر النساء أشياء من هذا القبيل، وغالباً ما يشعرن بالتشتت التام عند الاستيقاظ. إذ ليس لديهن ذلك الشارون^(١) الوديع المخلص لإرشادهن من عالمٍ إلى آخر.

هذه الظاهرة في الطبيعة الذكورية التي تُعرف بالمصطلح الشائع باسم «تأثير الخيمة»، هي حدث بيولوجي، وليس نفسياً بأي حال من الأحوال. ولكن مثل العديد من الظواهر البيولوجية الأخرى من الممكن أن تصبح بسرعة مسألة تتعلق بالصحة الروحية والعقلية. وإن بقي هذا الانتصاب دون معالجة وتعين عليه التزول من تلقاء نفسه - خلال رشفات القهوة الأولى أو تحت الدش - يراكم الرجل أخلاطاً خبيثة مؤذية تغمره بالغضب والاستياء طوال يومه. فيصير حذراً متحفظاً، قليل الكلام، مُضمراً العداء، وقد يبدأ أيضاً بإيواء أفكار غدّارة تجاه أبناء جلدته، بمن فيهم أفراد عائلته وزملائه. على أية حال، إن أظهر الشخص النائم بجانبه تعاطفاً، وحرر العضو من تراكم سوائل الجسم، سيقى الرجل هادئاً وديعاً منضبطاً النفس، وبواسع المراء أن يقول حتى إنه محبٌ للخير سهل المراس. نهاية التفسير العلمي.

-1- **الشارون أو الخارون:** Charon في الميثولوجيا الإغريقية هو مرشد الأرواح، المراكبي الشيخ، من الهاوية، الذي ينقل أرواح الأموات إلى العالم الآخر عبر نهر ستיקس مقابل مبلغ من المال.

كان عمي مارسيلو سانشيز بروست، الذي لديه نظريات عده حول أشياء كثيرة، يقول دوماً إن على الرجل الزواج من امرأة لديها موقف متفهم لهذه الحالة الطبيعية عند الرجال، وكان يقول: «عليك أن تجد امرأة تخفف من الغضب الذي يتراكم خلال ساعات الأرق الطويلة عند الرجال الذين لديهم حساسية تجاه مرؤنة الزمن».

أيّاً كانَ معنى ذلك، كانَ يضيف بالقول إنه من أجل هذا السبب تزوج عمتي نادية، وظلّ مخلصاً لها إلى أن فرقهما الموت (ماتت المرأة المسكينة بذبحة صدرية مثلَ أبيينا المؤسس بينيتو خواريز⁽¹⁾). لا بدّ أن العمة نادية كانت تُخفي مواهِبَ عظيمة، فعلى الرغم من أنها ربما كانت تلبس ثياباً مثلَ معلمة في دار الأيتام، فإنها كانت بلا شك فنانة موهوبة في عهْر الصباح الباكر.

وأنا على النقيض منه، لم يُحالوني الحظ بالمرة في هذا الجانب، ربما لأن حظ الرجل المحظوظ، كمثل حالي، يُوزع بحيث لا يصل إلى أركان التجربة الإنسانية الأكثر سرية وغموضاً. مثل نظرية مُنْحني الجرس⁽²⁾. أدت فلاكا واجبها نحواني إلى أن حيلتْ؛ يعني لمدة أسبوعين تقريباً. وبعد ذلك، لا شيء! كانت على الدوام مفتقرة إلى الكرم في تلبية احتياجات الآخرين، وخاصة احتياجاتي. إلا أنني لم أجد أيضاً عزاء الصباح الباكر مع النساء الأخريات في حياتي. أنجليكا، البعيدة كل البعد عن القبح، كانت تستيقظ ولفمها رائحة الدجاج، فكنتُ أنا من يرفض الاتصال الجسدي. ومن ناحية أخرى، كان لدى إيريكا شبةً غريب بالرئيس السابق فيليبي كالدирتون⁽³⁾ وهي نائمة، أعتقد لأن وجهها كان يبدو أثناء النوم متتفاخاً قليلاً، وبالخصوص الشفتان، والأنف، وال حاجبان. وبقدر ما أكون راغباً بتبييد أخلاطي

-1- بينيتو بابلو خواريز (1804-1872): رئيس المكسيك بين عامي (1858-1872)، وهو أول رئيس مكسيكي لم تكن لديهخلفية عسكرية، وأول الرئيس من الهندود الحمر على الإطلاق (من هنود الزابوتيك؛ سكان المكسيك الأصليين).

-2- نظرية مُنْحني الجرس الرياضية: تستخدم لوصف رسم بياني لتوزيع الاحتمال الطبيعي، حيث يتركز المنهجي في المركز وينخفض على كلا الجانبين.

-3- فيليبي كالدирتون (1962): سياسي مكسيكي شغل منصب الرئيس السادس والخمسين للمكسيك (2006-2012).

المخصوصة فيها، بمجرد أن أراها هناك، منتفخة ومشوهة من النوم، تماماً مثل رئيس الأعوام المظلمة في المكسيك، بقدر ما يستبد بي الهلع فإذا بي أنسّل من سريري بصمت، وأتسحب بعيداً على رؤوس أصحابي لأعد لنفسي كوبًا من القهوة الثقيلة. وأمّا إستير، فقد كانت عصبية سيئة المزاج في الأصباح. لم أكن أجروء على معانقتها خشية أن تنهّأ عليّ بالسلسلة التي كانت تبقيها في متناول يدها في درجها. لذلك، كنتُ أترك لها المبادرة بالخطوة الأولى، التي عادة ما تكون عبارة عن إعطائي أمراً -والسلسلة في يدها- من مقاطع متعددة يصعب تفسيرها، مثل: على ركبتيك، أيها الطريق السريع، وأعطيك لسانك. أو ربما: أيها الطريق السريع، إنه الوقت الملائم، غص بي أيها الأخرق. أو ببساطة، أشعبني أيها الطريق السريع. ولكن، بما أن إستير، ولله الحمد، نادرًا ما اتّخذت الخطوة الأولى، فقد تعلّمت أن أسلّم أمري إلى أقدارى. لدى موهبة فريدة بالتسليم، مثل جميع الرجال الكاثوليكين.

في صباح ذلك اليوم، صباح أسرى القصير، كانَ أول ما لاحظه هو الانتصاب، الذي رذّني حضوره المُرافِق «حامل الدرع» الوفي إلى وعيي بالعالم يومياً. حاولتُ تجاهله، وعدتُ للنوم مرة أخرى. لم أعرف كم من وقت؛ لحظات، وربما دقائق. عندما بدأتُ أستجمع حواسّي من جديد، كانَ أول شيء لاحظته هو رائحة نفاذة، أشبه برائحة الخشب المطلبي حديثاً، وشعرتُ من فوري بحرقة لا تُحتمل في جسر أنفني. كنتُ مستلقياً على سطح خشبيٍّ صلب، ولكني كنتُ أتعرق عرقاً غزيراً من صدغي. وكانَ رأسي يخفق بقوة وبسرعة، مثل قلب طائر صغير. ثم أحسستُ فجأة بتورّم غريبٍ في لساني، وبطعم الدّم المعدني قليلاً في حلقي. وفي ذلك الصمت الذي ضاعفَ من حدّة الخفقان المضطرب في صدري، سمعتُ خرخرة خافتة، وربما شخيراً مكتوماً، آتات نوعاً ما. وافتراضتُ أنه لا بدّ أنني كنتُ في غرفة ينامُ فيها أناس آخرون. فضلتُ ألا أفتح عيني، معتقداً أنني ربما وضعتُ في دار للمُسنين أو أودعْتُ سجنًا، وحاولتُ الرجوع إلى النوم، دون أن أفلح تماماً في ذلك.

الشيء الوحيد الذي أذكره بعد المزاد العلني في الكنيسة هو الخروج إلى الشارع مُمسكاً بيدي سيدهارتا. خطّر في بالي آنئذ المرة الأخيرة التي أمسكتُ فيها يده، واحتويتها في قبضتي. لكنني سرعان ما استبعدتُ ذلك

الخاطر، لأنَّه جعلني راغبًا بمعانقته، وشعرتُ أنه لا يريد أنْ أعاقه. مشينا عبر الساحة، يدًا بيد، نحو سيارة كانت بانتظارنا على الناصية، في حين كنتُ أشرح لسيدهارتا كيفَ أفلحت معي قصة ذات الرداء الأحمر المعكose والمضحكَة. نظرَ سيدهارتا إلى الأمام مباشرةً وتجاهلني، بالطريقة التي يتجاهل بها الآباء أبناءهم عندما يحاولون شرحَ أشياءً مُعقدة لهم. وكانَ ذاك كلَّ ما تذكرته، أي شيءٍ سواه كانَ محضَ امْحاءً أبيض.

وبيِّنما كنتُ ما أزالَ مُغمضَ العينين مستسلماً لمزيدِ من النعاس، مررتُ طرفَ لسانِي ببطءٍ على سقفِ حلقِي. في تلكَ اللحظة تناثرتُ إلى شظايا. عندما جربتُ تحريلَ لسانِي على امتدادِ هلالِ أسنانِي المقدسة البهية والمعظمة مثلَ أعمدةِ ميدانِ القديس بطرس⁽¹⁾ من تصميمِ برنيني، وجدتُ فجوةً كبيرةً فارغةً. لا شيءٍ. ولا حتى سنًا واحدةً. آه، يا مارلين! رفعتُ يدي إلى فمي وفتحتُ عينيَّ. جلستُ، وتبيَّنَ لي أنني كنتُ مستلقياً على مقعدِ خشبيٍّ. تحسستُ بأناملِي شفتِيَّ، لسانِي، سقفِ حلقِي، ولثتيِّ الخاوية. لم أجد شيئاً، ولا حتى سنًا واحدةً. ما الذي كانَ سيفعله المهندس المعماري العظيم لساحةِ القديس بطرس إذا جاءَ إلى الفاتيكان يوماً، ولا حظَّ أنَّ الأعمدة الدوريسية اليونانية المهيءة، التي تشكلَ نصفَ دائرةَ حولَ صحنِ الساحة، والتي تُشيرُ إلى الارتفاعات الأكثَر بهاءً للنصب التذكاريَّة بالنسبة للكاثوليكيَّة، غير موجودة بكلِّ بساطة؟

أجلَّتُ النظرَ من حولِي، مُتفحِّصاً المكانَ حيثُ كنتُ راقدًا، واكتشفتُ جحيمًا أشدَّ ضراوةً من الجحيم الذي تموَّضَ في فمي. كانَ ثمةً مهرجٌ ذو أبعادٍ خارقة، معروضاً على الشاشة، وكانَ يتأملني بتعيرٍ وديعٍ غامضٍ. هيمنَ الخوفُ علىِّي، ومعَ أنَّ الشيءَ الأكثَر منطقيةً كانَ النهوضُ من علىِ المقعدِ، والركضُ باتجاهِ بابِ الغرفة الصغيرةِ المواربِ، فإنَّ حيائِي منعني. كما أنَّ انتصاري العنيد وغيرِ القابلِ للتفسير -نظرًا للظروف- جعلَ من النهوض

- 1 - ميدان القديس بطرس: الساحة الكائنة أمام كاتدرائية القديس بطرس في الفاتيكان، وتُعدُّ من أهمِّ معالمِ السياحة في روما. تمتاز هذه الساحة، من تصميمِ جان لورينزو برنيني، بشكلها البيضاوي، وتشتمل في جوانبها على جدار مؤلف من رواق طويل مقسم إلى أربعة صفوف من الأعمدة الإغريقية.

على قدميّ أمراً مستحيلاً. دققتُ النظر في الغرفة. من الشاشات على الجدران الأربع، كان هناك أربعة مهرجين جاموديين^(١) (مُتخسين) يحدّقون بي. بِتُّ متيقّناً من خسارتي، أُحرِّقت جميع أوراقي. وكان الخيار الآخر، أنني اختُطفتُ ربّما وتعرّضتُ للتعذيب، لهو أكثر خطورة، في بلد تساوي فيه حياة الإنسان أقلّ من ثمن تذكرة سفرٍ من مكسيكو سيتي إلى أكابولكو، على خط «استريلادا أورو» البائس!

تجلّت قبالي مباشرة صورة المهرج المكَبَرَة، بوجهه المطلّ بالأبيض، والابتسامة المرسومة بالأسود حول فمه، وعلى رأسه الأصلع قبعة صغيرة تحاكي قبعة تشارلي تشابلن. أدرتُ رأسي إلى اليمين. أظهرت الصورة بنفس النّسب المبالغ بها مهرجاً يرتدي بدلة ذات ألوان زاهية، وكان الجزء الأكبر من وجهه مطلّياً بالأحمر القاني، وقد نبتت من جوانب رأسه الكبير الغليظ شُجيرات من الشّعر الأصفر. وكان المهرج على يسارِي مرتدّاً بدلة بيضاء، مع وشاح من ريش البط الأصفر؛ وكان وجهه مصبوغاً باللون الورديّ، ومن فوق حاجبيه الطبيعيين كانت مجموعة من الألوان غير الطبيعية، اعتلت جبهته مثل درج مختلف الألوان وصولاً إلى رأسه الأقرع في معظمها. من نافلة القول أنهم ثلاثة كان لديهم الصفة ذاتها؛ ألا وهي الأنف الكروي البعض. اكتفيتُ بالقاء نظرة خاطفة على المهرج من خلفي، بيد أنني تمكنت من رؤية حذاء أسود ذي نعلٍ عريض، ووجه مدھون باللونين الأحمر والأسود. لمحته من طرف عيني، بدا لي الأكثر شرّاً من بين الأربع، لهذا أدرتُ وجهي ناحية المهرج قبالي؛ المهرج صاحب الوجه الأبيض والقبعة الصغيرة. ومن ثمّ، ما أثار ارتباكي أن المهرج رمش!

انتظرتُ بضع ثوانٍ، متشبّثًا بحافة المقعد، كيما أرى إن كان سيعيد هذه الحركة، أو إن كان الأمر مجرد أني كنتُ مرتبكًا لدرجة الهلوسة. إلا أن المهرج لم يرمش مرة أخرى فحسب، ولكن وفجأة، ودونما أن يفتح فمه، ارتفع صوتُ من فوق رأسي:

- 1 - الجامود: Catatonia حالة عصبية نفسية تؤثر في السلوك والوظيفة الحركية، من أعراضها الذهول والتخلّب والصمّات.

- ألا تعتقد أن كل الأشياء في غاية الجمال يا فانشيو⁽¹⁾؟
لم أحب، فقد كان من الواضح أنه لا يقصدني. أيها الطريق السريع،
أنت أبله، قلت لنفسي. تكلمت بصوت مرتفع، وتمكنت - وإن على نحو
ضعيف - من التكرار: أحمق!

لم أتعرف إلى صوتي. فمن دون إطار أسنانى الصلب، كانت الكلمات
التي خرجت من فمي نفخة باهتة، صوت رجل عجوز خفيض. ثم انبعث
ذلك الصوت من الأعلى مجددًا - بطينًا، هادئًا متهدكمًا. محاكيًا ما قلته من
قبل:

- أ - ب - له.

سألت مذعورًا: من أنت؟ أين أنت؟

- دع عنك هذا يا فانشيو!

- عفوًا؟

- كف عن التحامق يا فانشيو!

- إنك تخلط بيني وبين شخص آخر. أنا غوستافو سانشيز سانشيز،
الطريق السريع، في خدمتك.

- دعك من ذلك أيها الوغد. قل لي فقط أين أخفيت كريم مزيل
المكياج؟

أجبت بالقول: لا أدرى عم تتحدث.

حينها فقط لاحظت أن الصوت، كان في الواقع، آتيا من مكبر صوتٍ في
السقف، وكانت هناك ثلاثة مكبرات صوت أخرى، واحد في كل زاوية من
زوايا الغرفة.

- فانشيو: اسم المهرج في قصيدة شارل بودلير «موتٌ بطولي / A Heroic Death»، كان المهرج المفضل لدى البلاط، واشتهر بأدواره الصامتة، وقد اعتُبر صديقاً للأمير. يضبط الملك المهرج في مؤامرة ضد الأمير، فيقبض عليه ويحكم عليه بالإعدام لتورطه في المؤامرة. يعطي المهرج فرصة لتأدية دور أمام الأمير ضمن مجموعة من المتآمرين الآخرين. وفي ليلة العرض يؤدي فانشيو أقوى دور لعبه في حياته، وفي لحظة تألقه المسرحي، وقد نسي الجميع أنه محكوم، يُقتل في منتصف العرض.

- الكريم يا فانشيل اللعين! وجهي يتشقق، وأريد إزالة مكياجي.
- لا أستخدم الكريمات. أنا لست امرأة ولا مهرّجاً، وأنا لا أضع المسايق.
- فإذاً، أنت لست مهرّجاً؟ يا فانشيل اللعين الأدّرد المخادع.
- اسمى غوستافو سانشيز سانشيز، والناس يلقبونني بالطريق السريع، بداعٍ من التحبب والمودة.
- دعك من هذا الكلام.
- وأنا أفضل باع بالمزاد في العالم.
- آه حقاً؟ وبم أتيت لنا لبيه في المزاد؟

التزمت الصمت، غير عارف بمَ أردّ. واصل المهرج حديثه. وسألني إذا ما كنت أعلم أمثولة اللؤلؤة، دونَ انتظار إجابة مني، أخذَ يشرح لي بالتفصيل. خاطبني كمالو كان يخاطب طفلاً صغيراً أو أجنبياً، وهو يلفظ الكلمات لفظاً صحيحاً مترويّاً.

- يقول المسيح: «بالإمكان مقارنة مملكة الرب بشخصٍ يمتلك كنزاً مخبئاً في حقله، ولكنه لا يعلم به. وعندما وفاه الأجل تركَ الكنز لابنه. ولم يكن ابنه أياضًا على علم بأمر الكنز، فما كان منه إلا أن استولى على الحقل وباعه. حرثَ المشتري الأرض، فاكتشفَ الكنز، وراح يُقرِّضُ المال بالفائدة لمن شاء». هل فهمت المغزى يا فانشيل؟
- أجل، بالطبع، لقد ذهبت إلى مدرسة الأحد.
- إذن ما معنى القصة؟
- هذا يعني أنه ينبغي عليك التتحقق مما في حقل والدك قبل بيعه.
- أبله!

رمَّش المهرج، وتناءب تثاؤباً طويلاً دونما حرج. ثم قال: «أنت أكثر شخص غبي مملأ رأيته في حياتي يا فانشيل!». وأغمض عينيه سريعاً، وبدأ لي من صوتٍ تنفسه أنه خرّ في نوم عميق.

كنت واثقاً من أنني ذهبت إلى الجحيم. أثناء اجتماعات الولائم العائلية المطلولة التي كان عليّ تحملها أثناء طفولتي، كان ابن عمي خوان بابلو

سانشيز سارتر، الذي كان يتنعل شبشبًا بلاستيكياً أبيض اللون وسرعان ما ظهر عليه علامات السُّكُر، كان لا بدّ أن يقول لنا -أوان تقديم الحلويات- إننا الجحيم بذاته. كان يصرخ علينا؛ يلعننا، وفي بعض الأحيان كان يرمي الأغراض أو بقايا الطعام المتناثرة على مفرش المائدة، وبالأخضر حبات الأرز الطيرية، ومن ثم يغادر، صافعًا الباب من خلفه صفعهً مدوية. وكنا لا نراه إلى أن يحين التجمع العائلي المقبل، وحينها كان يتكرر الموقف عينه، مع شيء من الاختلافات. واستمر الحال على هذا المنوال، مرة كلّ شهرين، إلى أن كان يوم انتحر فيه خوان بابلو أثناء ممارسة الرياضة على الدرجة الثابتة، لدى تناوله جرعة قوية من الأمفيتامين أُصيبَ على إثرها بنوبة قلبية.

نهاية الذكرى العائلية.

ولكن قد يكون ثمة مغزى في نظرية بابلو المسكين. ومذاك، صرُّت أعتقدُ على الدوام أن الجحيم هو الأشخاص الذين قد تكونهم ذات يوم. كانوا الأشخاص الأكثر ترهيباً لخوان بابلو هم أقاربه الأكثر خسنة وحقارة - الأعمام والأخوال الطالحون، العمات والحالات اللواتي تفوح منها رائح مستحضرات التجميل، وأبناء عمومته وخُؤولته التافهون. بعض الناس يخشون أعداءهم ورؤسائهم، أو المعاتيه الذين يجوبون الشوارع ويتحدثون مع أنفسهم، أو المجنونات اللائي يُنظفن جلودهن في الأماكن العامة. والبعض لا يتحمل حضور الفقراء، ومبtori الأطراف، والمشردين. بالنسبة لي لا شيء يُثير تشاومي أكثر من رؤية إنسان يرتدي زيّ مهرج، ربما مرد ذلك إلى خوفي الدائم من أن يُنظر إليّ على أنني أحدهم.وها أنا كنت هناك، بلا أسنان، مستلقياً على مقعد قبالة إسقاطات مُسجلة على شريط فيديو لمهرجين هائلي الحجم، غافياً -أو ربما مُحبطاً حدّ التخشب- وأبدو، خطأ، واحداً منهم.

شعرت برغبة ملحة بالهروب، الانتصار الذي أوقفني في البداية ما عاد عائقاً. ولكنني أدركتُ على الفور أنه لا جدوى من الهرب. إلى أين أذهب؟ وما الفائدة المرجوة؟ وعوضاً عن ذلك، نهضتُ ومشيتُ في أرجاء الغرفة. لم تكن مساحتها تزيد عن عشرين خطوة بالعرض وعشرين بالطول. وكانت خاوية إلا من أربع شاشات كبيرة عرض عليها المهرجون النائمون.

بالقرب من الباب الذي تركَ موارِبًا، ثمَّة نص قصير على الحائط يقول: «أغو رومندينون^(١). إلى أين نذهب من هنا؟ أربعة أجهزة فيديو، صوت، حبرٌ على الجدار، خشب، وضوء نيون أصفر». دفعتُ الباب فانفتحَ على مصراعيه، وألقيتُ نظرةً خاطفة. كانت الغرفة مُفضية إلى غرفة أخرى، تفوقها حجمًا، وكانت إنارتها جيدة. اجتزَّ العتبة، وتمشيتُ في تلك المساحة الأكبر. كانت هناك مجموعة من الأشياء الموضوعة في أماكن غريبة وفي الزوايا: لوحة إعلانات تصوّر حصانًا داخل غرفة فندقية، كلب (لعبة) محسُوّ نائم، عدة بدلات فخمة على شكل فئران وجرذان، ساق صناعيَّة مُشعرة، شجرة «باوباب» باللغة الصَّغر، ومجموعة من الصُّفارات، نوته موسيقية على حامل ثلاثي الأرجل، ونافذة غير حقيقة مكونة فقط من الضوء المسلط على الجدار من مصابيح الهالوجين. وقد وجدتُ آخر هذه الأشياء جميلاً على نحو خاص، وفكرتُ أنها قد تستحق عناء التجميع، أو ربما نقل الفكرة إلى مستودعي، الذي لم يكن فيه العديد من النوافذ كما ينبغي أن يكون في مكان لائق.

كنتُ أحاول تقديركم بيلغ وزن المصابيح عندما سمعتُ الصوت البارد اللامبالي ذاته في الغرفة الأخرى. قَفلتُ عائداً، على مهلي.

- أمازلتَ هنا يا فانشيو!

- أين يفترض بي أن أذهب؟ قلتُ ذلك وأنا أعاودُ القعود على مقعدي.

- لقد قلتَ إنك ستجلب سيارة أمي «الفولكس فاجن» من حجز السيارات، ولا تظاهر بأنك لم تفعل ذلك. بسببك أنت قَطروا السيارة، يا فانشيو!

- لم أقل إنني سأفعل أي شيء! من أنت؟ أين أنت؟

- أنا هنا، على يمينك.

الآن فهمت. مع أن الصوت كانَ نفسه، إلا أن مبعثه هذه المرة كان على ما

- 1- أغو رومندينون (1964): فنان سويسري مقيم في نيويورك. يعمل في وسائل الإعلام الفنية المختلفة، بما في ذلك الرسم والتصوير الفوتوغرافي والفيديو والتركيب والنحت.

يبدو من جهة المهرج صاحب البدلة ذات الألوان الزاهية. إن كان المقصود منه أن يكون مقيعاً، فقد كان إنتاجاً رديئاً بحقّ. اتهمني المهرج الثاني بأنني ركنت سيارة فولكس فاجن بيضاء اللون في الحيز الذي كان مخصصاً على ما يبدو للسائقين ذوي الاحتياجات الخاصة، وبالإضافة إلى إظهار عدم مراعاتي لذوي الاحتياجات الخاصة، فإن ما قمت به بحسب زعمه تصرف متطرف وعدواني للغاية تجاهه وتجاه والدته. ومضى شارحاً أن عدم مراعاة مشاعر الآخرين بشكل عام، والعدوانية السلبية المفرطة، من السمات المميزة للاكتشاف. فكان من الجليّ إذن أنني مكتتب للغاية. واقتراح علي بكل احترام الذهاب إلى طبيب نفسيّ أو محلل نفسيّ، ونصحني أيضاً بالنوم ثمانية ساعات على الأقل يومياً، والتوقف عن شرب الكحول، وبالتالي تأكيد الإكثار من ممارسة التمارين الرياضية، لأن ذلك يؤدي إلى إنتاج كميات كبيرة من السيروتونين في المخيخ وما تحت المهداد، فقاطعته بالقول:

- لماذا لا تخرج وتحضر الفولكس فاجن؟ ما الذي تفعله مستلقياً هناك؟

- أنا؟ أنا هنا لأنطلق بعض الأفكار فقط.

- ما الذي تعنيه بخلق الأفكار؟ أنت لا تخلُق أفكاراً.

- ربما أنت لا تخلُق أفكاراً، ولكن أنا أبلِي.

- حقاً؟ مثل ماذ؟

- حسن، الآن، على سبيل المثال، أفكّر بأن أفراس النهر حيوانات جديرة بالازدراء حقاً، علاوة على كونها خطيرة، وبأنه تنبغي إبادتها.

- يا لها من فكرة عميقة، قلت بسخرية قسرية. وماذا أيضاً؟

- وفكّرت أيضاً بأن السياسة الإيطالية سخيفة؛ ويمكن أن تتحول الكلاب الضالة إلى عنيفة، على الرغم من كونها كائنات ودودة حسنة العشر ومستقلة بشدة؛ وبأن الأزواج المُسيئين ليسوا نادرين إطلاقاً، وبأن الناس خدومن مفضالون بسبب الخوف؛ وبأن بالكثير من معلمي المدارس الابتدائية قُساة؛ وبأن الأمير الصغير هو كتاب عن الفن الهازي للأشخاص في الأربعينات من العمر؛ وبأنه لا معنى لوجود الكثير من القديسين في التقويم الغريغوري.

آه، قلتُ، أو ربّما لم أقل شيئاً. لربّما تنهدتُ فقط. أو تنفستُ فحسب.

- وفكرةً، على سبيل المثال، بأن حقيقة نسيانك لجلب السيارة لها علاقة بحكاية «يكون⁽¹⁾» الرمزية عن أسنان الحصان⁽²⁾.

- حكاية أخرى؟

- اسكت! وانتبه:

«في سنة الـ 1432، نشبَ خلافٌ عنيفٌ بين الإخوة في الدين حول عدد الأسنان في فم الحصان. على امتداد ثلاثة عشر يوماً ظلَّ الخلاف مُحتدِّماً دون توقف. أحضرت جميع الكتب والحوليات القديمة، وتجلَّت سُعَة الاطلاع الثقيلة، المدهشة والمضيئة في آن معًا، كما لم يُسمع بها من قبل في المنطقة. في مُستهلِّ اليوم الرابع عشر طلبَ راهبٌ شابٌ حسن السلوكِ الإذنَ من رؤسائه المتعلمين بأن يُدلِّي بِدلوه، وعلى الفور، ولفِرط دهشة المتنازعين، الذين كَدَّر لهم حكمتهم العميقَة أيّما تكدير، ناشدُهم بفضَّ النزاع بطريقَةٍ فظَّةٍ وغير معهودة، وذلك بالنظر في فمِ حصان مفتوح، والعثور على إجابة لتساؤلاتِهم هناك! مقاله هذا مَسَّ كرامتهم، فَتميَّزوا غَضِيبًا، وانخرطوا جمِيعًا في ضجيج عارم، ثم انقضوا عليه وأوسعوه ضربًا، دونَما رحمة أو شفقة، وأقوه خارجاً في الحال. لأنَّه من المؤكَّد، على حد زعمِهم، أن الشيطان قد أغوى هذا المترهين الغرِّ الجريء لكي يُصرَّح بطريقٍ غير مقدَّسة وغير معهودة من أجل اقتداء الحقيقة، خلافاً لِجميع تعاليم الآباء. وبعد عدة أيام من الفتنة الخطرة، حطَّت حمامَة السلام بين المجتمعين، وأعلنوا بكلمةِ رجلٍ واحدٍ بأنَّ المعضلة ستظلَّ لغزاً أبداً، وذلك

1- فرانسيس بيكون (1561-1626): فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي. رائد الفلسفة الجديدة القائمة على الملاحظة والتجريب (الاستقرائية) بدلاً من الطريقة الأرسطية القديمة (الاستنباطية)، ويشار إلى طريقة ابن خلدون الاستقرائية بوصفها أيضاً ثورة معرفية. من أشهر أقوال بيكون: «لو بدأ الإنسان من المؤكَّدات انتهى إلى الشك، ولكنه لو اكتفى بالبدء في الشك، لانتهى إلى المؤكَّدات».

2- أمثلة أسنان الحصان: ينسب البعض هذه الأمثلة إلى روجر بيكون (1294-1324) وهو فيلسوف إنكليزي وراهب فرanciscan، كان قد أكد أهمية الطريقة التجريبية.

بسبب النقص الحاد في الأدلة التاريخية واللاهوتية، ولذلك أمروا بالتخلي عن الأمر».

قلت: لم أفهم كلمة واحدة منحكاية.

- ألا تعتقد أنه مشكوك في أمرها؟

- بآية صورة؟

- بالصورة التي أنت عليها أيها العجوز الأدرد الخسيس يا من لا يفهم وينسى الناس والأشياء.

قد تكون محقًّا، قلتُ، وضريحُ الذنب يحفر لنفسه مسافةً أوسع في مكان ما في صدري.

- وهل أنت ذاهبٌ الآن لإحضار سيارتِي أيها الفانشيوول الخامل التافه الضئيل القديم ذو الساقين النحيلتين الطويلتين؟

- حسنٌ، ربما.

لم يفه المهرج بشيء وطال صمته لفترة كافية لأفهم أن حديثنا بلغَ نهايته. لربما كان محقًّا. ربما ينبغي على الذهاب وابتاع دهان إزالة المكياج، وإخراج السيارة من الحجز. على كل حال، لم يكن عندي شيء آخر أفعله. ولكن يا لها من فكرة خرقاء. كان المهرجون مجرد أشرطة تسجيل. وكان من الواضح أن الصوت آتٍ من مكبح صوت في مكان آخر. قررتُ أن أصبر وأنظر حتى انبث الصوت من جديد.

كنتُ في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمري حينما شعرت بالرعب للمرة الأولى من وجود مهرج. كنتُ في محطة مترو بالديراس بصحبة صديقي إلى بيرو. كان الوقت قد تجاوز العادية عشرة ليلاً، وكنا عائدين من لعب الدومينو على سطح بيت أحد الأصدقاء وسط مدينة مكسيكو سيتي. لم يكن في المحطة أحد، غيري أنا وإلى بيرو، بانتظار القطار الأخير. وفي لحظة معينة، تناهى إلى سمعنا صوتٌ كما النخير العميق، تلته على الفور نفخة. ومرة أخرى، نخير، نفخة، ثم نخير. نظرنا من حولنا، لا

شيء! ما من مخلوق في المحطة. ذهب إلى بيرو ونظر أعلى الدرج الذي يربط المنصات مع الردهة. وقف هناك لحظة، متجمداً من الدهشة. ثم أومأ إلى وضع إصبعه على شفتيه مشيراً إلى بأن التزم الصمت. مشيت نحوه بحذر. على الدرجة العليا كان ثمة مهرج يجلس القرفصاء وقد أرخي سرواله ليقضى حاجته. حاولت كبت الضحكة التي انبجست من رئتي مثل ارتداد عصبي، لكنني أخفقت في احتواها في الوقت المناسب. انبعث مني نوع من العطاس: ضحكة عبرت كاتم صوت ضبط النفس. رفع المهرج رأسه ونظر في عيني، وبدالي مثل حيوان أعزل يحدق مباشرة في مفترسٍ محتمل، وسرعان ما يدرك أن المطارد هو فريسته في الواقع. رفع سرواله، واندفع صوبنا. وركضنا مُسرعين، كما لم نفعل من قبل.

مرعوبين ومرتبكين، اتفينا طريقنا عبر متأهة الممرات في محطة بالديراس، باحثين عن مخرج مفتوح. عند زاوية أحد الممرات، أدركتني المهرج وأمسك بي. سقطت أرضاً. وارتدى عليّ، مثلما يرتديي رجل على امرأة تقاومه. ثبتشي المهرج من ساقي، وأسقط رأسه ودفنه في بطني، وأنفه الكروي ينغرز في سرتني. دفن وجهه المطلوس بمساحيق التجميل في قميصي الأبيض، وفوجئت أنه انخرط بالبكاء، ولم أعرف قط، أهو من الخجل أم إنه حزن طبيعي؟

بعد بعض لحظات، وقد التقطرت أنفاسي، تمكنت من الانزلاق من تحت جسده المنبهك. من ثم تابعت المسير أنا وإلى بيرو، ببطء وصمت هذه المرة، إلى أن عثرنا على مخرج مفتوح أخيراً. نهاية الذكرى.

ظللنا زمناً طويلاً بعدذاك نتندر بذلك اليوم ونؤلف جميع أنواع النكات عنه، ونروي على معارفنا نسخاً مبالغًا بها من القصة. ولكن ما وراء الضحك والهدر المصاحب للفكاهة، كنت أحس بشغل حارٌ في معدتي في كل مرة يُثار بها الموضوع؛ متخيلاً أن جمر الإذلال الذي أبصرته متأججاً في عيني ذلك المهرج لم يبارحنني قط.

بعد وقت قليل، انبعث نفس الصوت البليد الأغْنَى من مكبر الصوت. قال، والساخية الدنية تتقطّر منه: الفانشـيـول العـظـيم!

افترضت أن المهرج على يسارِي الذي كان يخاطبني آئذ هو صاحب
الواجب المتعددة التصاعدية.
أعلمُ بم تفكُرُ أيها الفانشيوال العظيم جدًّا.
- ماذا؟

- أنت تفكَرُ بأنك أفضل منا نحن البقية.
- لا، ليس صحيحةً.
- هل سمعتَ أمثلة الرجل ذي الشعر الأحمر للكاتب والفيلسوف
العظيم دانييل خارمس^(١)؟
- في الواقع، لا.
- حسناً، أنت مثل الرجل ذي الشعر الأحمر الذي كتب عنه يا فانشيوال،
لذا استمع إلى بعنایة:

«كانَ ثمَّةَ رجلٌ ذو شعر أحمر لا عينان له ولا أذنان. ولم يكن له شعرٌ حتى، لذا كانَ أحمر الشعر على المستوى النظري فحسب. ولم يكن بوعيه الكلام، لأنَّه لم يكن لديه فمٌ. ولا حتى أنفٌ أيضًا. لا ولم تكن له ذراعان ولا حتى ساقان. لم يكن له معدة، ولا كتفان، ولا عمود فقري، ولا أمعاء على الإطلاق. لم يكن للرجل أي شيء! وعليه، ما من وسيلة لنعلم عمن تحدث. في الحقيقة، من الأفضل عدم قول المزيد عنه». نهاية القصة.

- انتهت القصة؟
- انتهت القصة.
- هذه ليست أمثلة. هي حكاية رمزية.
- إنها أمثلة رائعة، بل تجاوزت الروعة بذاتها، وهي تبدو مستوحة منك يا فانشيوال. ما رأيك؟

1- دانييل يوفاتشوف خارمس (1905-1942): كاتب روسي ومسرحي وشاعر عبلي، وممثل تيار المستقبليين في الأدب السوفيتي.

- إنها تعليمية.
- حقاً؟ فقط تعليمية؟
- غنية بالمعلومات وحاذفة. ولكنني لا أفهم لم قد تكون أمثلة.
- وما الذي تقترح عليّ فعله إزاء ذلك يا فانشيوال العظيم؟
- لن أقترح أيّ شيء.
- هذا ما اعتقده. ألسنت تدركُ أنه ليس لديك ما تُعطيه؟
- نعم، أدركُ هذا.
- وأن الانقسام بين التصور الذي لديك عن نفسك وتصور الآخرين عنك غير قابل للحل؟
- من المحتمل.
- حتى إنك غير قادر على الضحك على نكتة ليست لك. أنت غير قادر على تقدير الدعابة. وهذا ينمُ عن محدودية فهمك.
- لا بأس.
- وإذا ما اجترنا حدود الغرابة والشذوذ، يا فانشيوال، فعلى الجانب الآخر يقع المهرج: أنت مهرج.
- رجاء هذا يكفي.
- وهذا ما أقوله أنا أيضاً يا فانشيوال، هذا يكفي. وهلاً أسديت لي معروفاً؟
- ما هو؟
- أحتج إلى دراسة عن «الثورة الروسية». هل يمكنك إحضارها لي من محل القرطاسية؟
- نعم، بالطبع، قلتُ، وألفيت نفسي فجأة مُتمرِّغاً في الانصياع.
- وأريد أيضاً «القطن ومشتقاته» و«القطب الشمالي والقطب الجنوبي»، بالإضافة إلى مرجع آخر يُسمى «الحيتان ومشتقاتها»، وربما أيضاً «أعلام آسيا».
- حسناً، سأجدها من أجلك.
- أشكرك، ردَ الصوتُ، راضياً.

- بالمناسبة، أنت لا تعرف طراز سيارتك الفولكس فاجن أليس كذلك؟ تسأليت، وأنا أشير إلى المهرج بالبدلة الحمراء الضيقية، الذي كان يرمقني بصمتٍ تامٍ، ويرمش من حين إلى آخر.

- فولكس فاجن 70 بيضاء، ما من شك في ذلك.

- وبأيّ مركز حجز هي؟

- على ما أظن لا بد أنها في أحد مراكز الحجز في شارع فيروكاروبل. ولكن لماذا أنت ذاهب من أجل سيارته؟

- لأنهم قطرواها بسيبي.

.انتظرت رد المهرج، الذي تأخر بعض الوقت.

عندما انبعث الصوت المتكلّم من بطنه مجدها عرفت على الفور أنه المهرج الرابع الذي يخاطبني آنذاك؛ المهرج ذو الوجه الشرير المطلّي بالأسود والأحمر. كنت حينذاك مستعداً للضرب والإذلال، ومحاولاته الفظيعة لإنهاكـي والنيل منـي. مالم يعرفه ابن الخنزير السمين هو أن «الطريق السريع» المنقطع النظير غير قابل للإرباك ولا للكسر. اعتزـمت مباغـنته والمواجهة أولاً، موئـما ما بين وجهـي وصوـتي والورـطة التي كنتـ فيها.

فانشـيـولـ في خـدمـتكـ. ماـذا أحـضـركـ يا سـيدـهـارتـاـ؟

رانـ صـمـتـ طـوـيلـ.

- ماـذا تـريـدـ يـا بنـيـ؟ كـرـرـتـ.

أـجـابـ أـخـيرـاـ، لـا شـيءـ.

- حقـاـ، لـا شـيءـ؟ ماـذا أحـضـركـ؟

- لـا شـيءـ، حقـاـ، لـا شـيءـ.

أـلـحـحتـ بـالـسـؤـالـ: هـيـاـ، قـلـ لـيـ. هلـ مـنـ طـلـبـ؟ أـيـ شـيءـ؟

- بـصـرـاحـةـ، لـا يـمـكـنـكـ إـحـضـارـ أـيـ شـيءـ مـنـ أـجـلـيـ يـا سـيدـيـ.

- كـوبـ مـاءـ، عـلـىـ الـأـقـلـ؟

- لـاـ!

- لـنـ تـرـفـضـ كـوبـاـ مـنـ المـاءـ!

- حـسـنـ، لـاـ بـأـسـ، أحـضـرـ كـوبـاـ مـنـ المـاءـ.

قلتُ، سأجلبه لك، وأنا أنهضُ أخيراً عن الأرض، مُمططّطاً ذراعيّ
وساقيّ. استغرق الأمر مني بعض لحظات لاستعادة توازني، ولكن بمجرد أن
شعرت بالثبات في حذائي، عبرتُ الغرفة في حالة نشوة صريحة ومفاجئة.
أحسستُ بالخفة، وبأني تحررتُ من شيء ما. أظنُ أن عمي فريديو سانشيز
دوستويفسكي كان محقّا حين قال إن الإهانة، هي في النهاية، تنقية للروح.
انحنىتُ بتأدبٍ للمهرجين المتخسسين (الجاموديين)، وخرجتُ من الباب:
لا - لا - ترا، لا - لا - ترا.

لم يوجد قطّ الفيلسوف
الذي استطاع احتمال ألم الأسنان بصبر

الكتاب الرابع

الموارد والإيحاءات

«إن الجمود بالمعنى الدقيق للكلمة هو إطلاق تسمية على الشيء ذاته في جميع العوالم، أو على الأقل في جميع العوالم التي يوجد فيها هذا الشيء. وهذا ملائم جدًا للأرقام وما شابها. ولكن من دون تداخل العوالم، لن توقع اسمًا عاديًّا مناسباً لشخصٍ أو لشيءٍ ما -لiskeة الحديد مثلاً- أن يكون بالدقة الصارمة. ومع ذلك، قد يكون الاسم العادي المناسب شبيه صارم: أي، أنه قد يُسمى في عالم آخر النظير هناك لما يُسمى هنا».

• ديفيد لويس⁽¹⁾

عليَّ أن أُفيد، بأنِّي ذات صباح، لا أعلم في أي وقت على وجه الدقة، خرجمتُ إلى الشارع بعد أن أمضيت يومًا وليلة في «غرفة الأشباح» مثلما دأبَ عمِي روبيرت سانشيرز فالسر⁽²⁾ على تسمية غرفة الجلوس في بيته. كنتُ قد فقدتُ أسنانِي، ونمتُ على مقعد، وتركتُ نفسي تتعرض للإذلال

-1 ديفيد لويس (1941-2001): فيلسوف أمريكي. له إسهامات بارزة في مجالات فلسفة اللغة، وفلسفة العقل، وما وراء الطبيعة ونظرية المعرفة والمنطق الفلسفية. من كتبه «التقليد: دراسة فلسفية».

-2 إشارة إلى الكاتب السويسري المتحدث بالألمانية روبرت فالسر (1878-1956).

والتعذيب العاطفي على يد ابني، ولكن، على الرغم من كل هذا، كنتُ في حالة ذهنية غريبة، مفعمةً برومانسيةٍ مُغامِر استوائيّ؛ وأعتقدُ أن ذلك لأنني كنتُ دومًا ذا شخصية قوية وراسخة.

في الضوء المعدني المنعكس من الغيوم، تلمستُ بوادرَ الفَجَرِ الأولى، وشعرتُ بالارتياح لأنني كنتُ في مُحيطِ مألفٍ: في أحد مواقف السيارات في مصنع عصيرٍ قديم في إيكاتيبيك، على بعد بضعة أمتارٍ من فيها موريلوس. كان الجوّ ماطرًا، وتفوحُ منه رائحة المقطرات، ورقائق التورتيلاء، والعجلات المحترقة. وفكّرتُ؛ هذا هو المكان الذي أنتمي إليه! وتذكرتُ تلك الأغنية الرائعة لنابليون «فقط لأنك أنت، لهذا السبب أحبك»، وجعلتني الأغنية راغبًا في أن أصدق بالغناء، بأعلى ما في صوتي، ففعلت.

مشيتُ على أرضية المصنع وأنا أغنى تحت سحب الصباح الباكر المتموجة، حتى وصلتُ إلى مَرَأْب للدراجات. ومن بين العمال الذين وصلوا إلى المصنع، وتوقفوا في المرآب لركنِ مركباتهم، أبصرتُ صديقي العتيق الحكيم تاسيتو⁽¹⁾ -الذي يكتبُ أمثلاً تقليدية على كعك الحظ الصيني من أجل لقمة العيش- وهو يوثق دراجةً بأحد الأنابيب المعدنية. كان متسللًا بربادٍ واسع (توجا⁽²⁾) عاجي اللون، وكان شعره ممشطاً بعنایة، وشاربه مُشَدِّباً على نمط «فرشاة الرسام»، كان أنيقاً ومميّزاً كَدَأْبِه دومًا. رَحِبَ بي ترحيباً حاراً وسألَ عن حالي، ولكني عندما فتحت فمي لأجيب، لاحظَ أسنانِي المفقودة، وعجزَ عن إخفاء صدمته.

- ماذا حدث أيها الطريق السريع؟⁽³⁾

قلتُ: كما ترى يا صديقي العزيز، لقد فقدتُ أسنانِي.

وأجابَ بهدوئه المعتاد: ليكن عندي بعُدُّ نظر، إنها لا تؤلمك.

قلتُ: شكرًا لك، أظن أن ابن العاهرة ابني سرقها. ولكني لستُ متأكّدًا. سأذهب للبحث عنها.

-1 إشارة إلى المؤرخ الروماني بابليوس كورنيليوس تاسيتوس (56 م - 117 م).

-2 توجا: ثوبٌ روماني فضفاض.

-3 جميع عبارات «شخصية تاسيتو» أعلاه قد وردت بالنص الأصلي باللاتينية.

- عندما يبدأون باتخاذ قراراتهم بأنفسهم، تضيع فرصتنا.
- بالضبط، اسمع يا صديقي العزيز، هلاً أعرتني دراجتك لأبحث عن
أسناني؟

أخبرني بأن الدرجة لشقيقه، وسألني إن كنت قد صادفته. فأجبته بالنفي،
وبأنني لم أره منذ سنوات. على ما يبدو أن شقيقه تناول جرعة قاتلة تقريباً من
صبار «البيوت^(١)» قبل أسبوع وهام على وجهه في شوارع إيكاتيبك. وكان
تاسيتو يبحث عنه لأيام عدّة كي يعيد له دراجته. وأنا شخص عمليّ. لذا
اقترحت عليه حلاً معقولاً:

- بدلاً من ربطها بالسلسل، لم لا تسمح لي باستعارة الدرجة، فأبحث
عن أخيك بينما أحارو إيجاد أسناني؟
تاسيتو بدوره كان دوماً متعقلاً وكريماً.

وإذ ناولني مقود الدرجة قال: وآمال فارغة، مثل بعض الأحلام، تتيقظ.
بعد ذلك، أخرج من حقيبة جلدية، كان يحملها قطرياً على صدره، كيساً
من كعك الحظ الصيني ووضعها في سلة الدرجة بإيماءة رصينة:

- فليرافقك كعك الحظ الصيني العتيق أثناء بحثك عن الحكمة.
شكرته بإخلاص وركبت الدرجة. ثم عبرت شارع موريلوس وانعطفت
إلى سونورا نحو الشرق، عاقداً العزم على تنفيذ كلّ مهامي، ربما أغثر على
شقيق تاسيتو الضائع، وربما أسترددُ أسناني. انبسطت من أمامي سماءً فسيحةً
صافية، والشمس بدأت لتوها بالظهور من بين قضبان التسلیح العارية على
أسطح المنازل.

في ذلك الوقت من النهار، كان المحل الوحيد المفتوح هو «Las
Explicaciones»، على تقاطع سونورا ولاس تورييس. هذا المحل مشهور لأن
القهوة تكلف بيزو واحداً، ورغيف الخبز خمسة بيزوّات، ولديهم دائمًا عدة

- 1- الصبار المكسيكي «البيوت أو البيوط»: peyote ينمو في الشمال الشرقي للمكسيك، وهو صبار صغير لا أشواك له يُسبب الهلوسة الشديدة إذ يحتوي على مُخدر الميسكالين، ويُستخدم في المكسيك في الطقوس الروحانية (الشamanية)، كما يُستخدم في المجال الطبي لعلاج أمراض متعددة.

نسخ من الجرائد اليومية. توقفت هناك من أجل الفطور ولطلب جريدة، وكوب نسكافيه لأغمض به كعك الحظ الصيني الذي أعطاني إياه تاسيتو. استخرجت القصاصات الورقية التي كُتبَت عليها عبارات الحظ، ثم غمست كلّ كعكة ونقعتها في القهوة إلى أن صارت ندية بما يكفي لابتلاعها دون خشية من إيذاء لثّي العارية. ووضعت القصاصات الورقية في جيب سروالي إلى وقت لاحق. بالإضافة إلىّ، كانَ الزبون الآخر الوحيد في المقهى شاباً نحيلًا حذرًا، وجهه منمشٌ بِنَمْشٍ بلون التبغ، وكانت فضفاضة عليه، ومعتمراً قبعة من البانما. وكانَ جالساً إلى طاولة بجوار نافذة بدأ يتسلل من خلالها ضياء الصباح الباكر؛ وكان ممسكاً بقلم رصاص ويدوّن بصمتٍ في دفتر ملاحظات.

من طاولتي، سأله ما الذي كانَ يكتب عنه كل هذه الكتابة. فقال لي وعيناه ما تزالان على مذكرته، إنه كانَ يخطط فقط للقيام بمسيرة ريلينغو⁽¹⁾ سيراً على الأقدام.

- مسيرة ماذا؟ قلتُ مُتمتماً بصوتي الجديد الأحمق الذي بلا أسنان.

- مسيرة حول الفجوات، سيدي، حول الأرضي الشاغرة، حول مساحات لا مُلاك لها أو استخدام محدد. وضَحَّ لي مع ذِكر هذه الأمثلة الثلاثة. فغرتُ فاهي مثلَ كتكوتٍ فقسَ للتوّ، وقلتُ، مُشيرًا إلى مغارتي الدرداء:

- مساحات فارغة مثل هذه؟

رفع الشابُ بصره، وقد أغارني انتباهه أخيراً. اغتنمت انتباهه وواصلت حديثي، مع الحرص على ألا أفقد ذاك الاهتمام:

- ما اسمك؟

- يعقوب دي فوراجيني⁽²⁾. ولكنهم ينادوني فوراجيني.

1- الريلينغو: relingo وردت في كتاب المؤلفة The Sidewalks وتعتقد الكاتبة أن المفردة ذات صلة بـ realengas المشتقة من القشتالية القديمة، وهو مصطلح يشير إلى قطع الأرضي المهجورة والشاغرة التي لا تخص الدولة.

2- إشارة إلى يعقوب دي فوراجيني (1299-1320): Jacopo de Voragine / بالإيطالية Jacopo da Varazze ويُعرف باسم المبارك. وهو مؤرخ تاريخي إيطالي، وقد شغل منصب رئيس أساقفة جنوة. مؤلف «الأسطورة الذهبية» أحد أشهر الأعمال الدينية في العصور الوسطى، وهو يحتوي على قصص قديسين وشخصيات أدبية مشهورة.

- من تكون؟ مغن وكاتب أغان؟ فنان؟

- لا، أجاب بمنبرة ميلودرامية. أنا كاتب، ومرشد سياحي تابع للكنيسة في المدينة. أعيش من الأخيرة، وأموت بالأولى.

- آه، فإذاً لا بد أنك تعرف الكاتب الذي ألف كتاباً وبذل أسنانه.

- كلا يا سيدي، من يكون؟

- كاتب بذل كل أسنانه بعد تأليف كتاب. هذا كل ما هنالك.

- مذهل. ساحر. عظيم. قال بتrepid، غير متيقن من صفاتك تلك.

- بالنسبة، غوستافو سانشيز سانشيز، أو «الطريق السريع» فقط، في خدمتك. هل تمانع لو أتيت وجلست معك في الشمس هناك؟ لا أريد مقاطعة تركيزك.

- بالطبع، تفضل بالجلوس، على أية حال لم يكن لدى فكرة واحدة طيلة الصباح.

طلبت ثلاثة أكواب أخرى من النسكافيه -اثنان لي وواحد له- وقعدت قبلة الشاب. ولاحظت أن يديه المهزولتين مروّتين بأظافر التوتر القصيرة.

- إذن أنت وافدٌ جديدٌ على الحي؟

- هذا صحيح يا سيدي.

- وكيف اعتمدت أن تصير مرشدًا سياحياً هنا إن كنت لا تعرف المكان؟

- لا، السياح لا يأتون إلى هنا. أنا أعيش في إيكاتيبيك، لكنني أقود جولات مشي سياحية في مكسيكي سيتي.

- هل تعيش بمفرنك؟

- لا، أعيش مع أخويين يعملان في تجارة الكتب. لا أعرف اسميهما، ولكنهما فيما بينهما يناديان بعضهما بعضاً «عزيزي والذى يفهمنى / دارلينغ وأندرستاندنج» دونما تمييز. لديهما مطبعة ودار نشر اسمها «الركن الثقافي».

- ولماذا برأيك لم تتمكن من الكتابة اليوم؟

- لا أعلم. ربما لأنني مرعوب من عدم الجدوى.

- عدم الجدوى؟

- ثمة الكثير من الأشياء بالفعل -راح يحكى بنبرة مُصاب بمرضٍ مزمن -

- الكثير من الكتب، والكثير من الآراء. كلّ ما سوف أكتبه سيفضي فقط إلى كومة القمامات الهائلة التي تركها كل شخص من خلفه. هل كلامي منطقي؟
- كلّ المنطق. ولهذا السبب أنا بائع في المزادات العلنية.
 - أنت؟ هل تُقيم مزادات علنية للأعمال الفنية؟
 - أبيع أي شيء يعرض سبيلي.
 - مثلًا؟
 - مثلًا، بوسعي المزايدة على اسمي (غوستافو). جمعت ستة أسماء متماثلة. أدعوها سلسلة «الغوستافو الدائرية»، لأنّه من المفترض المزايدة على هذه «الأسماء المتتجانسة» بالإطناب والإيحاءات الملغزة، بما يحاكي صفات وإسهامات «ستاتيوس^(١)».
 - وكيف يكون ذلك؟

هكذا:

برجه الحوت، وطالعه العقرب. ولد في سان آندريلاس، تشالتشيكومولا، في الثامن عشر من شهر آذار، عام 1911. كان رئيساً للمكسيك من عام 1964 ولغاية 1970، خلال هذه الحقبة: غيّب الطلاب، احتل عسكريّاً الجامعة الوطنية المستقلة في المكسيك، زجَ العمال في السجون، أقال المعلمين، وسرح الأطباء وعمال السكك الحديدية، الذين احتجّوا على انخفاض الأجور. مات بسرطان القولون والمستقيم.

- من يكون؟ سألت فوراجيني.
- ليس عندي فكرة، أيها الطريق السريع. آسف.
- إنه الرئيس غوستافو دياز أورداز، بالطبع. لنجرّب واحداً آخر.

¹ - بوبليوس پاپينيوس ستاتيوس (45 م - 96): شاعر روماني بارز، ألفَ اثني عشر كتاباً من الشعر الملحمي. وكان الشاعر الإيطالي دانتي أليغييري من أكثر المؤثرين به في ملحمته الكوميديا الإلهية.

ولدَ في التاسع عشر من إبريل عام 1801. من بُرج الثور، وطالعه الميزان. واطبع دراسة علم النفس الفيزيائي، ومن رواد علم النفس التجاري. كما اكتشف أيضًا الصيغة الشهيرة $S=KlnI$ والانطباعات النفسية وشدة المنشآت الجسدية. كان تَسْطِيًّا، ملحدًا، زير نساء، ورجلًا طيب القلب. قضى نحبه في 18 نوفمبر 1887.

- من أقصد؟

- آسف، لا فكرة لدى.

- غوستاف تيودور فيشنر. واحدًا آخر:

برج القوس، كاتب، بدین، فرنسيّ.

- أوه! غوستاف فلوبير؟

- أجل، هو بالفعل.

- حسناً، أعطني واحدًا آخر.

- حسناً:

من بُرج السلطان، وطالعه الدلو. ولدَ في السابع من تموز عام 1860، وتوفي في الثامن عشر من أيار عام 1911. يهوديّ، من مواليد بوهيميا، ألف سيمفونيات مالر، من 1 وحتى 10، إلا أنه لم يكمل العاشرة لأنَّه مات قبل إتمامها. كان متزوجًا من السيدة ألما مالر، التي كانت أيضًا على علاقة مع فالتر غروبيوس، فرانتس فيرفل، كليمت، ماكس بوركهارد، ألكسندر فون زيميلنسكي، أوسكار كوكوش، ويوهانس هولشتايمر، على سبيل المثال لا الحصر.

- هذا سهل: غوستاف مالر.

- جيد، جيد. واحد آخر:

برج القوس. كانت ناشطة نسوية، ولدت في هامبورغ سنة 1868.

- هل هذه كل المعلومات؟
- نعم، المعدرة.
- لم أعرفها.

- إنها ليدا غوستافا هيeman. سأعطيك اسمًا آخرًا:

برجهُ السرطان، وطالعهُ السرطان. كارثة فلكية. عاشق وزوج محتمل لزوجة غوستاف مالر. كان رسماً رمزيّاً، وعرضة للصداع النصفي والعنقودي، وميالاً إلى التعبير الإيروتية.

غوستاف كليمنت؟
صحيح.

قال: هذا مُسلٌّ. ولكن، كيف يمكنك بيع الأسماء؟

- أقوم بالأمر فحسب. في النهاية، ما يبيعه الباعة في المزادات العلنية، أسماء الناس فقط، وربما الكلمات. كل ما أفعله هو أنني أمنحها محتوى جديداً.

- هلا شرحت؟
- كما ترى، أنا مثل هؤلاء الذين ينقبون في قمامتك. ولكن حسب الأصول. فأنا أُنقِي وأُجِد. وأُعْطَر وأنظف وأُطهَر. وأُعيد التدوير.
حدق الشاب يعقوب دي فوراجيني في فنجان النسكافيه الذي لم يمسه بعد. تناول وعاء السكر، ووضع في الكوب كمية مُريعة من السكر، وباستخدام قلم الرصاص، شرع يحرك القهوة على نحوٍ عشوائي.

- لنـ. اقرأ على ما تكتبه الآن، قلت له، محاولاً إبقاء المحادثة حيّة.
- لكن ما كتبته ليس مميّزاً، مجرّد وصف لناصية شارع.
ظللت صامتاً، بانتظار أن يبدأ بالكلام. تردد الشاب للحظة، إلا أنه فتح مفكرته، صقل حنجرته، وقرأ:

مقابل البيت الذي انتقلت إليه متجر لأجهزة الكمبيوتر. أستطيع رؤيته من نافذة الحمام على السطح، المكان الوحيد الذي يمكنني التدخين فيه بهدوء. بعد ظهر كل يوم، بينما يبدأ الرجال الذين يعملون في متجر الأجهزة بالإغلاق، يُخرجُ المالك، وهو رجل خَرِف، كرسيًا قابلاً للطي إلى الرصيف ويشرع في شحذ رؤوس المسامير الموضوعة في صندوق معدات بجانب قائمة الكرسي. يشحذها على الأسفلت بعناية، المسamar تلو الآخر، ثم يرمي بها على الشارع. لا تدوم هذه الطقوس أكثر من عشر دقائق. أنفُض سigarتي في المرحاض، وهو يطوي كرسيه.

هذا ما استطعت التوصل إليه، قال ذلك، وفي عينه نظرة تلتمسُ الاستحسان.

- لطيف، قلتُ.

- شكرًا.

- وخطك صغير وحلو.

-أشكرك.

- ولكن كلّ ما ذكرته خطأ.

- لماذا يا سيدي؟

- إنك تتحدث عن متجر أجهزة الكمبيوتر الذي يملكه السيد ألفونسو ريس، صحيح؟ الكائن على ناصية شارعي دورانغو وموريلوس.

- كيف عرفت ذلك؟

- آه، أيها العصفور الصغير، هذه حكاية طويلة. ولكن الفكرة المهمة هنا هي أن وصفك غير دقيق. لأن السيد ألفونسو ليس خَرِفًا، ولا يشحذ تلك المسامير. بل يثلمها. إنه يثلم تلك المسامير المحنية بعض الشيء، وعندما يثلمها كفاية، يرمي بها في الشارع بحيث لا تثبت الإطارات، أو تؤذى السيارات.

- ولماذا لا يرميها في حاوية النفايات؟

- لأنها تمزق الأكياس.

- ففهمت.

- اسمع يا يعقوب، فوراجيني، يا يعقوب فوراجيني الشاب، أعتقد أنني أستطيع مساعدتك إن ساعدتنى. كما تعلم، حك لي ظهري، وأحلك لك ظهرك.

- لست متيقّناً إن كان بإمكانى مساعدتك يا سيدى، لست نافعاً بالقدر الكافى، ولكن تابع، هات ما عندك.

- أنا بحاجة لاسترداد كرامتى -أسناني- إذ إننى لا أستطيع إعادة تدوير أي شيء من دونها، ناهيك عن الأكل والتكلم مثل البشر. وأنت مفتقر إلى المال، والوقت، والحرية، والسلام، وخبرة العمل، وحياة الشوارع، والنساء، والمحفظات، وكل ما أنت بحاجة إليه لتسيطر روائعك بالتأكيد.

- هذا صحيح يا سيدى.

- ولكن ليس بوسعك الحصول على أي منها. لا تستطيع، لأنك تساور ساعتين يومياً إلى قذارة قلب مدينة مكسيكو سيتي، كي تشتعل لدى ابن عاشرة يستغلك، ثم ترجع إلى شقتك، حيث يقيم شبان آخرون مثلك -جميعهم يرتدون ملابس غريبة- والبيت مثل زريبة الخنازير، وهكذا تبدأ بغسل الصحون، وبِكتنس كرات الشعر من على الأرضية، وبِطوي القمصان، وبينشر جوارب مفردة. وتصنع لنفسك شطيرة من الجبن، فقط لأن اللحم بات مكسواً بطبقة لزجة خضراء من العفن. وبنهاية النهار، تكون منهجاً ومُحبطاً لدرجة أنك فقدت الرغبة بالجلوس، والقيام بالشيء الوحيد الذي تحبه.

- أنا عاجز عن الكلام، يا سيد «الطريق السريع». كيف علمت بأمر كرات الشعر؟

- لست رضيئاً محمولاً بين الذراعين.

- نعم، هذا واضح. لكن ما زلت لا أفهم، ما الذي ترمي إليه يا سيدى؟
- أن تصير مبدعاً حقيقياً.

- وما الذي تقتربه لأفعل ذلك؟ سألني بنبرة شبه منفعلة، وهو يعده قبعته.

- ه هنا يكمن دوري. بوعي منحك أشياء كثيرة؛ السكن المجاني، على سبيل المثال. المبدع بحاجة إلى سكن مجاني. لدى قصر في شارع ديزنيلاند، مع أفضل مجموعة من الأشياء التي شوهدت على الإطلاق. ولا يذهب فكرك بعيداً فتحسبني من الصنف المنحط مثل مايكل جاكسون.

أنا أحُب النساء اللائي من سني.

- سكن مجاني؟ وماذا بعد؟

- يمكنني منحك المعرفة.

- مثل ماذا؟

- كأن أدلّك كيف تتجمّب دفع ثمن وجباتك، أو كيف ترك الحافلات مجاناً. أستطيع أن أعطيك أيضاً الشارع. أعرف هذا الحي أكثر من أي شخصٍ آخر، وبإمكانني منحك هذه المعرفة كلها. ستجري الأمور على النحو الآتي: سأقصُّ عليك حكاية كل ركن وزاوية؛ سأعرفك على معارفي، سأخذك تحت جناحي، مثلما يقولون. ومع الوقت، عندما تكون قد تعرفت إلى هذا المكان جيداً، يمكنك افتتاح مشروعك السياحي الخاص هنا. وهذا كل ما في الأمر. مكتبة سُر من قرأ

- وأين سأجد السياح؟

- سيأتون من تلقاء أنفسهم. ما يهم هو سرد القصص عن الحي. وبمجرد أن تمتلك هذه القصص، سيتهافت الناس إليك لسماعها. فالاماكن والأشياء مصنوعة من الحكايا.

- لست متأكداً من ذلك.

- أليست رواية القصص ما تفعله؟

- نعم.

- حسناً، أنت تثق بنفسك ولو قليلاً، أليس كذلك؟

- لنفترض أنك محق. وبأنني سأوفق على عرضك. ما الذي ستطلب مني فعله بالمقابل؟

- لا شيء تقريباً. أن تكتب لي فقط.

- أكتب ماذا؟

- أي شيء أكلفك بكتابته. أولاً أريده منك كتابة قصتي، قصة أسناني.
أنا أرويها عليك، وأنت تكتبها فقط. نبيع ملايين النسخ، وأتمكن أنا من تصليح أسناني. ثم، عندما أموت، تكتب عن موتي أيضاً. لأن قصة الإنسان لا تكتمل أبداً إلا بموته. نهاية المهمة.

- وماذا أيضاً؟

- حسناً، إذا ما اتفقنا وسارت الأمور بیننا على ما يرام، بوسعي منحك وظائف أخرى.

- مثل ماذا؟

- مثلاً، أنا بحاجة إلى شخص لإعداد كتالوج لمجموعتي من المقتنيات، لأنني الآن أجري مزادات على مقتنياتي الخاصة فقط. لدى أفضل مجموعة من المقتنيات في العالم. وبما أنه لم يتبق لي وقت كثير في هذا العالم، أود إقامة مزاد علني كبير، أحتج فيه إلى الكتالوج الخاص بي. ولكن لا نريد أن نستبق الأحداث. في الوقت الحالي أنت ستكتب فقط سيرة ذاتية.

- في آخر المطاف ابتسم الشاب الكئيب فوراً جيني إلا أنه لم يجب بشيء.

- علام تبتسم؟

- لا شيء. ستكون هذه الكتابة سيرة حياتك⁽¹⁾، وليس سيرتك الذاتية⁽²⁾ بقلمك.

- آه! أرى أنك ستكون كاتباً جيداً أيضاً.

- لم تقول ذلك؟

- لأنك عندما تبتسما لا تُظهر أسنانك. الكتاب الحقيقيون لا يُظهرون أسنانهم أبداً. وعلى النقيض، فإن النصابين يعرضون هلال أسنانهم المسؤول عندهما يتسمون. تحقق من الأمر بنفسك. ابحث عن صور جميع

1- السيرة: Biography ترجمة حياة إنسان بقلم شخص آخر.

2- السيرة الذاتية: Autobiography قصة حياة الكاتب بقلمه.

الكتاب الذين تحترمهم، وسوف تجد أن أسنانهم تظل لغزاً حفياً على الدوام. أعتقد أن الاستثناء الوحيد هو الأرجنتيني خورخي فرانسيسكو إيسيدورو لويس.

- بورخيس؟

- هو بذاته. أعمى وأرجنتيني. لكنه لا يُحتسب لأنّه كان أعمى، فربما لا يمكنه أن يتخيّل نفسه مبتسمًا، على الأقل، ليس بتلك الابتسامة التي كانت ترسّم على وجهه وهو أعمى، إن كنتَ تعلم ما الذي أقصده.

- إن بورخيس هو مثلي الأعلى. هل قرأت له؟ سأّل الشاب فوراجيني بحماس طفوليّ.

- ليس بقدر ما سوف أقرؤه له في المستقبل، أجبته.

- أظنُّ أننا سنفهم بعضنا بعضاً، سيدي الطريق السريع، ومن دواعي سروري أن أكتب سيرة حياتك.

- إنها سيرتي الذاتية، يا عود الثّقاب العنيد، لأنّها قصتي، ولأنني أنا من سيرويها، وأنت سيكون عليك نسخها فقط.

- كما تشاء يا سيدي. سأكون سعيداً بكتابة السيرة الذاتية لأسنانك.

- وهو المطلوب.

أمضينا بقية الصباح في طلب النسكافيه، وتبادل القصص، وترتيب تفاصيل الاتفاق فيما بيننا. بحلول الظهيرة، بدأت شمس الصيف تُسخّنُ أرضية المقهى الخرسانية. جعلتنا النسكافيه مرحين ومفعمين بالحيوية مثل مُدمّني الكوكاين الأصلي، وقد نفدت من عندنا كل كعكات الحظ الصينية. قلتُ: لنذهب يا فوراجيني. وتركتُ على الطاولة قطعة نقدية من فئة العشرين بيزو ووجه بيبيتو خواريز⁽¹⁾ للأعلى. ثم أردفتُ: لدى دراجتي الجديدة هنا في الخارج، أعطاني إياها صديقي.

قال: درّاجتي هناك في الخارج أيضاً.

- ممتاز. سنذهب لإحضار أغراضك، ثم سأخذك إلى ديزنيلاند يا.

1- بيبيتو خواريز (1806-1872): أحد رؤساء المكسيك.

- اتفقنا.

- عظيم. لا تقل المزيد. هلا ذهبنا؟

- الآن؟

- في هذه اللحظة بالذات.

نهاية المحادثة.

أمثال كعك الحظ الصيني بقلم تاسيتو:

- الرجل على قمة الجبل لا يسقط.
- التنين القابع بلا حراك في المياه العميقه يُسمى فريسة لسرطانات البحر.
- الحظ لا يأتي برفقة نظير له، لكن المصائب لا تأتي فرادى أبداً.
- عندما يتعاون الأخوان تستحيل الجبال ذهباً.
- عدم السَّمْع ليس جيداً كما السَّمْع، والسمع ليس جيداً كما النَّظر، والنَّظر ليس جيداً كما المعرفة العقلية، والمعرفة العقلية ليست جيدة كما الفعل؛ التعلم الحقيقي يستمر حتى نقطة التنفيذ.
- عندما يتغير اتجاه الريح، بعض الناس يبنون جدراناً، والبعض الآخر يبني طواحين الهواء.
- اللسان يقاوم لأنه لين، بينما تُذعن الأسنان وتعطي لأنها صلبة.
- ليكن كلامك من فم بطنك (قلبك).

الكتاب الخامس

المجازات

دفعت بي توقعاتي إلى استنتاج أنه كان على العودة إلى الأسس، وإعادة التفكير ليس في دلالات الأسماء ولكن أيضًا في تركيبها، ميتافيزيقيا الكلمات: كيف ينبغي تحديد الكلمات؟ ما طبيعة الكلمة؟

إن الأسماء هي نوعٌ خاص من الكلمات، خاص للغاية إلى درجة أن البعض يعتقد أنها ليست جزءاً من أية لغة على الإطلاق. وأنا أعارض هذا القول، وسوف أؤكد على الطرق التي تشبه بها الأسماء الكلمات الأخرى، إلا أنني لا أختلف في أن الأسماء خاصة من نواحٍ عده.

• ديفيد كابلان⁽¹⁾

لست متأكداً مما إذا كان من المفترض أن يكون هذا الجزء في القصة، إذ إنه الجزء الذي على ما يبدو يُفضي إلى نفسه، فأغدو حائراً مضطرباً وأوشك أن أضل طرقي. ولكنني من جهة أخرى لست أرى سبيلاً إلى تجاهله.

- 1 - ديفيد كابلان (1933): فيلسوف أمريكي. يتمحور عمله الفلسفـي على فلسفة اللغة والمنطق والميتافيزيقيا ونظرية المعرفة.

لما عدت أنا وفوراجيني إلى ديزنيلاند، اكتشفنا أن منزلِي ومستودعي قد تعرضاً للاقتحام والسرقة. اختفت مجموعتي، كل قطعة منها. في البداية أحسستُ بارتياح هائل. ثم بقليلٍ من الحزن. وشعرتُ بعد ذلك بعدم التصديق، وبالغضب. ثم، من جديد، وعلى نحو أعمق، شعرتُ بمزاج من الحزن والارتياح معًا؛ بانعدام الوزن تقريباً.

الأيام التي تلت كانت صعبة ومُقلقة، وأفضلُ عدم الحديث عنها. حضرتُ جلسات علاج نفسي جماعية. تابعت سباقات الفورمولا 1. تدبرتُ في الكاثوليكية. كنتُ تائهاً مثل السنونو في القارة القطبية الجنوبية، كما يقول المغني نابليون.

في صباح أحد الأيام، بينما كنا نشرب القهوة، حاول فوراجيني إقناعي بالذهاب إلى طبيب الأسنان، والحصول على طقم أسنان مؤقتة، كي أتمكن على الأقل من البدء في تناول الطعام المناسب. عارضتُ الفكرة قليلاً، لكن الصبيَّ كان على حقٍّ، وأنَّ رجُل متعقل على الرغم من بعض العناد في شخصيتي. بمجرد أن حصلتُ على طقم الأسنان الاصطناعية الجديد - كان رخيصاً وضيقاً بعض الشيء لكنه أدى الغرض منه - شرعت بإتماله سيرة أنساني على الشاب. استلزم الأمر مني بعض الوقت لإيجاد البُنى الصحيحة، لكن فوراجيني قال إنه يجب أن تكون هناك مقدمة، وعرض، وخاتمة. ويسَّرَ لي ذلك عملية البدء.

بعد شهر، كما وعدتهُ، بدأنا بـ «تعليم فوراجيني الفنان». وكان درسنا الأول: التقاط بعض الأغراض التي تركها أبني في المعرض بجانب معمل العصير وإعادة تدويرها. حوالي السبعة الواحدة صباحاً من يوم أحدٍ هادئ على نحو خاص، أتى صديقي إلى بيرو، الذي كان ما يزال يعمل سائقاً في المصنع، ليقللنا في شاحنةٍ ضخمة. سلكنا الطريق الخلفي حيث لم تكن هناك أية نقاط تفتيش أمنية. ركَّنَ إلَيْ بيرو الشاحنة في أحد الأزقة، وناولني مجموعة من المفاتيح، ودخلنا أنا وفوراجيني إلى المبنى الصغير المجاور للمصنع، حيث يقع المعرض. بدأنا البحث من المكتب على يمين مدخل المعرض. لم نجد كثيراً من الأشياء هناك، لكن فوراجيني التقاط كاتالوجا من المكتب، وكان مفيداً فيما بعد. واستوليتُ على بعض

أفلام الرصاص، التي أصبحت فيما بعد مفيدة أيضًا، بما أن فوراجيني كان يكتب كثيراً.

تجولنا بحذر فقد كان المعرض مظلماً تماماً، وقررنا عدم تشغيل الأضواء الرئيسية في حال وجود كاميرات. كانت الإنارة الوحيدة مُنبعثة من الإضاءة المسلطة على الأغراض. ويُجدر بي القول إن الأشياء بدت في هذه الإنارة بالذات أكثر جمالاً مما أتذكرها عليه عندما رأيتها للمرة الأولى صباح اختطافي القصير. تعرفتُ أوّلاً على الأزياء المخملية، والنوتة الموسيقية على منصتها، والسوق الاصطناعية.

لستُ من النوع البكاء، ولا حتى عندما أشاهد الأفلام. عندما رأيت أسنانني القديمة فجأة - التي بعثتها في المزاد العلني في الكنيسة - لم أبكِ. صهلتُ بفرح. كانت مرتبة في كومة صغيرة، ومضاءة عمودياً من الأعلى، و موضوعة على قاعدة خشبية بيضاء. بدت فاخرة حقاً و ذات أهمية. جمعتها بكلتا يديّ ووضعتها في جيب سترتي.

ما تبقى من العملية تم بسرعة وسلامة. الشيء الوحيد الذي سبب لنا إرباكاً هو لوحة إعلانات متوسطة الحجم تصوّر حساناً، ولكننا تمكنا معاً من جرّها إلى الشاحنة، وساعدنا إل بiero على إدخالها في الصندوق. بعد بضع ساعات، كنا قد عدنا ثالثتنا إلى مستودعي، ورحنا نتفحص مجموعة الأغراض الجديدة، ونرتشفُ من زجاجة الأغوارديتي التي أحضرها إل بiero. «خير لك أن تكون الرجل المحظوظ على أن تكون ابنه»، قال إل بiero قبل أن يغفو في كرسي الأكابولكو. ليس بوسعك إلا أن تحب رجالاً مثل هذا.

في صباح اليوم التالي أيقضتُ فوراجيني عند الساعة السابعة، وقدته إلى المطبخ. كان إل بiero قد عاد إلى منزله، فهو شخص لا يتسبب للغير بالإزعاج أبداً. ناولتُ مُتدربّي الشاب كوبًا من القهوة، ومجموعة من الكراسات من ماركة «سكرياب». كانت لدى أفكار جيدة عن المزاد، والأفكار الجيدة لا تأتي على عجلات، لذلك أردتُ تدوينها على الورق فوراً.

كانت هذه المتواالية سوف تسمى «مجازات إيكاتيبيك»، وستعيد تدوير

أغراضنا المجمعة حديثاً من خلال سرد قصص تجمع أسماء أصدقائي ومعارفي في الحي - مع الاعتراف بفضل الفنانين الذين ابتكرروا الأعمال، وباستخدام الكتالوج الذي صادرناه بوصفه دليلاً لنا. بلا تعقيدات. إذ إن أفضل الأفكار، ببساطتها، كما هي أجود الأشياء.

- ولكن إذا استخدمنا أسماء الفنانين الحقيقة فسوف يُكشف أمرنا، قال فوراجيني.

- نعم، تفكير سليم أيها الشاب. ينبغي علينا تحويلها. ثم أردف بالقول: ولكن إن حورنا الأسماء فسوف تفقد الأشياء قيمتها.

- كلا لن تفقد قيمتها.
- بل سوف تفقدتها.

- فوراجيني، اسكت من فضلك، واكتب ما يلي:

القطعة المجازية رقم 1:

لوحة إعلانات تعرض حصاناً
الفنان: دوغ سانشيز إيتكن

الجميع يعلم أن الخيول ليس لديها حسّ التعاطف، قلتُ لآلن باولز⁽¹⁾. إن رأكَ حصان تبكي أمامه، يكفي بمضغ تبنه ويرمش بعينيه. تجهش بالبكاء، تفيض مقلاتك بالدموع والألم، والحسان يرفع ذيله ويضرط ضرطة طويلة بصمت. ما من طريقة لاستثارة مشاعره. حلمت ذات مرة بأن حصاناً يلعق وجهي لعقاً متواصلاً. لكن هذا لا يهم، لأنه حدث في الحلم.

«بوسيعى أن أؤكّد لك أن الخيول في حديقة ستراول بارك في جزيرة مانهاتن تعاني من الاكتئاب»، أجاب آلان باولز، بعد أن غامرتُ بطرح نظريتي عليه. كتّا بانتظار الحافلة، بالقرب من كشك جرائد «رو宾 دارييو جونيور». لاحظتُ أن آلان باولز كان يتأنّل، بشيء من الحزن، اللوحة

- آلان باولز (1959): كاتبٌ وناقد أدبي وكاتب سيناريو أمريكي.

الإعلانية المدهشة قبالتنا، على الجهة المقابلة من الشارع. كان على اللوحة إعلان وصورة حصان -من المحتمل أنه كان حصاناً حزيناً في حقيقة الأمر- يقف بجانب سرير في فندق في نيويورك.

- وكيف عرفت أن الخيول في حديقة سنترال بارك مكتبة؟

فأخبرني بأنه كان يقرأ للتو مقالة قصيرة عن نفسية خيول نيويورك.

- في آية صحيفه؟ أجبته بـ

قال إنه قرأها في الصحيفة التي اشتراها من الكشك. وإنه يحملها في حقيقته، هذا إن كنت مهتماً، وهي واحدة من تلك المنشورات الرخيصة ولكنها جديرة بالثقة. ذكر مراسل الصحيفة المجانية والموثوقة أن الخيول في سترال بارك في نيويورك قد أصيّبت بالاكتئاب.

- وكيف عرفوا ذلك؟ سأله.

قال وقد بدأ صبره ينفد بعض الشيء: ثمّة برهان علمي تجريبـي. ثمّ أخرـج الصحـيفـة من حـقـيـقـتهـ، فـتـحـهـاـ، وـرـاحـ يـبـحـثـ عـنـ المـقـالـةـ. سـرـعـانـ مـاـ وـجـدـهـ، وـشـرـعـ يـقـرـأـ بـصـوـتـ عـالـ، مـعـ التـوـقـفـاتـ الـمـلـائـمـةـ وـعـنـدـ الـلـزـومـ، رـافـعـاـ بـصـرـهـ بـيـنـ الـحـيـنـ وـالـآخـرـ لـلـنـظـرـ إـلـىـ وـالـتـحـقـقـ مـنـ أـنـيـ مـُـتـبـيـهـ إـلـيـهـ كـلـ الـإـتـباـهـ:

«الخيول في تلك المدينة»: ١- تركض بأقصى استطاعتها وتتصفُّ رؤوسها وخطومها بالجدران بعنف. ٢- يت撒قط شعر أعرافها في حفنات. ٣- تعُّض حوافرها إلى أن تسقط. ٤- تروث وهي مستلقيَة بدلاً من الروث أثناء المشي، مثلما تفعل جميع الخيول الطبيعية. ٥- بعض الخيول تتتحر في آخر المطاف.

عندما فرغَ من قراءة المقال القصير، طوى الصحيفة من جديد، ووضعها تحت ذراعه. ابتسَمَ في وجهي ابتسامة غامضة. ومضينا في انتظار الحافلة معاً بصمت، مُحَدّقين في اللوحة الإعلانية على الطرف الآخر من الشارع.

القطعة المجازية رقم 2:

نافذة مصنوعة من الضوء

الفنان: أو لافه، سانشين، الياسون

لم توقف الخياطة المتقاعدة مارغو جلانتر⁽¹⁾ ابنها إلى ما بعد العشاء. خلال الأسبوع المنصرم، مارغو جلانتر التي عانت من الأرق، كانت تشعر بالانزعاج من وجود ابنها، ديفيد ميكلوس، الذي عانى بدوره من نوبات النوم القهري⁽²⁾. وكان ديفيد ميكلوس قد خسرَ عمله على صندوق الدفع في صيدلية الادخار «Farmacia del Ahorro» لأنَّه خَرَّ نائماً أكثر من مرة وهو يعمل. طوال الأسبوع الماضي، كان يمضي النهار بِطُولِه وهو يأخذ قيلولات مفاجئة في زوايا غريبة من المنزل. وبما أنَّ السيدة مارغو جلانتر لم تكن تعلم بعلته هذه، اعتقدتْ أنه تَبَلُّ ومتَسَكَّع وَكَسْلَان. وكانت تحسده في سرّها على قدرته على النوم في أي ساعة من اليوم.

بعد ظهر يوم الإثنين، بينما كانَ ديفيد ميكلوس يأخذ قيلولة أخرى غير مناسبة على كرسيٍّ ذي ذراعين، أصقت السيدة مارغو جلانتر صنَّاً من الطوابع البريدية على جبهته، بعد أن لعقت كلَّ طابع بطرف لسانها، ثمَّ حملته إلى مكتب البريد. وضعته برفقٍ على المنضدة، وطلبت من عاملة البريد أن ترسله إلى سورينام. نظرت الفتاة إليها بازدراة وامتعاض، وقالت إنه من المستحيل تنفيذ طلبها لأنَّه ينقصها أربعة طوابع، ذلك أنَّ إفريقيا تحتاج إلى تسع طوابع، وكان الطرد يحتوي على خمسة فقط.

- ولكن سورينام في أميركا الجنوبيَّة أيتها الغيبة، ردَّت المرأة بحدَّة.
- فإذاً اثنا عشر طابعاً، قالت الفتاة مُصَحَّحة.

وقالت أيضاً إن مكتب البريد على وشك الإغلاق، لذا كانَ على السيدة العودة في اليوم التالي.

عادت مارغو جلانتر في اليوم التالي، ثمَّ الذي يليه، مع ديفيد ميكلوس النائم بين ذراعيها بسلام. لكنها في كل مرة كانت بحاجة إلى شيء آخر؛ طابع، خطاب موثق من أجل الطرود الضخمة، المزيد من المال، هوية رسمية، الرمز

-1- مارغو جلانتر (1930): دبلوماسية وكاتبة وأستاذة جامعية أميركية.

-2- النوم القهري أو التغفيف أو الحُدار: مرض عصبي مزمن يتمحور حول فقدان قدرة الدماغ على تنظيم دورات النوم والاستيقاظ بشكل طبيعي.

البريدي الكامل للعنوان الذي أعطته في بارامايري⁽¹⁾. وكانت الفتاة، التي لم تكن بالضرورة الفتاة نفسها في كل مرة؛ كانت ترمقها بالنظر المُهينة ذاتها -ويبدو أن ذلك مردّه إلى السلوك «الروبوتي» والتصنّع الخاص اللذين تمثّل بهما جميع عاملات البريد - وتطبّ إليها الرجوع في اليوم التالي.

في صباح اليوم السابع، وكان يوم الأحد، قررت مارغو جلانتر السماح لديفيد ميكلوس بمواصلة نومه. استيقظت باكراً، وأخذت حمّاماً دافئاً، وقصدت محلّ الحيوانات الأليفة. وبما أنه لم يكن هناك كلاب للبيع، تدبّرت أمرها بشراء أربُّ امتلكه شخصٌ آخر من قبل. وأسمته «كوكر سبانيل⁽²⁾». كان الأربُّ هرّاماً للغاية، ومؤقاً تقريباً، لذلك عندما حاولت وضع شريط حول رقبته لإخراجه من المتجر، قاوم. حملته إلى المنزل بين ذراعيها، ووضعته على أرضية غرفة المعيشة، عند رجل الكرسي الذي كان ديفيد ميكلوس ما يزال نائماً عليه.

جرّت مارغو جلانتر -بطءاً، مفعلاً أكبر قدراً ممكناً من الضوضاء- كرسيّاً من المطبخ إلى غرفة المعيشة. وضعت شريطًا للمغنى تايلور ماك، ثمّ قعدت، ووضعت ساقاً على الأخرى، وغنت بأعلى صوتها، وحدّقت في كوكر سبانيل، الذي نظر إليها بدوره بضيق وضجر إلى أن أغمض عينيه وغطّ في نوم عميق. لاحظت أنّ كوكر سبانيل قد اختار بقعة مُسممة من الأرضية للنوم فيها، وشعرت ناحيته بحسدٍ شديد. وفكرت بأخذه على الفور إلى مكتب البريد لكي ترسله إلى سورينام، أو إلى أي مكان آخر. لكنها طردت الفكرة مباشرة لدى تذكرها أن مكتب البريد المثير للاشمئاز والسخيف وغير المجدية لا يفتح في أيام الأحد. لاحقاً، حاولت إيقاظ الأربُّ، بيد أنه رفَّ جفنه رقة واحدة ثم عاود النوم.

انقضت الظهيرة والمسيدة مارغو جلانتر ترافقُ ابنها وكوكر سبانيل وهما نائمان، وقد لاحظت كيفَ راح جسم الحيوان الصغير والمغطى

-1- بارامايري: عاصمة سورينام وأكبر مدنها، لغتها الرسمية الهولندية. جدير بالذكر أن سكان سورينام هم خليط من الأفارقة والآسيويين والأوريبيين

-2- كوكر سبانيل: أو الكوكر الإسباني (cocker spaniel) سلالة شهيرة من الكلاب.

بالفرو ينزلق تقربياً بصورة تدريجية في جميع أرجاء الغرفة، بينما كانت الشمس تغرق في السماء، والضوء المتوازي الأضلاع، المنسكب عبر النافذة على الأرض، يتحرك نحو الحائط. مما يشير، بهذه الطريقة إلى مرور الساعات.

ولمّا غربت الشمس أخيراً، واختفت رقعة الضوء كلّياً، فتح كوكر سبانيل عينيه. كانت مارغو جلانتز واقفة من فوقه، ممسكة بمقلاة من مقبضها. وباستخدام قاعدة المقالة، ضربتْه خمس مرات على رأسه. حالما مات الأرنب كوكر سبانيل، سلخته بعنایة وطهته مع إكليل الجبل، وورق الغار، والنبيذ الأبيض. وبعد أن فرغت من عشائهما، أيقظت ابنها بحنان ولطف، وشرّعت نافذة غرفة المعيشة على مصراعيها، كيما يدخل هواء الليل الرطب البارد.

القطعة المجازية رقم 3:

بذلنا الفأر والجرذ
الفنان: بيتر سانشيز

تعلّمت السيدة الشابة فاليريا لويسلي، وهي طالبة متوسطة المستوى في المدرسة الثانوية، وأفرطت في استخدام لاحقة «⁽¹⁾ly». ونظرًا لأن والديها، السيدة وايس والسيد فيشلي⁽²⁾، أرادا منها إلقاء خطاب في حفل عيد ميلادها الخامس عشر، فقد أرسلاها إلى دروس الغناء والخطابة، وتعلّم فنّ مخاطبة الجمهور. كانَ من المزعّم أن يكون حفل عيد ميلادها احتفالاً أنيقاً للغاية في قاعة الرقص بالحيّ، وكانَ على الفتاة تحضير نفسها من أجل المناسبة. من أجل دروس الخطابة وفنّ مخاطبة الجمهور استأجر المعلم الشهير

-1- لاحقة في الإنكليزية لاشتقاق الظروف من الصفات. تُستخدم لوصف الطريقة التي يحدث بها الفعل.
-2- إشارة إلى الفنانين والناحاتين السويسريين المعروفين بيتر فيشلي (1952) ودايفيد وايس (1946).

غيرمو شيريدان⁽¹⁾. كانت الجملة الأولى التي علمَ البروفيسور غيرمو شيريدان فاليريَا لويزلي ترديدها هي: «كانَ لدى تيتوس ليفي⁽²⁾ رأس مثل جوزة الهند/ coconut، وكانَ لدى أوكتافيو باث⁽³⁾ رأس كبير». على الرغم من قِصر الجملة وبساطتها، فإنها استلزمت من الفتاة جهداً كبيراً لنطقها بصورة صحيحة. وفي كل مرة تُخطئ فيها، كانَ البروفيسور غيرمو شيريدان يضربها على راحتِي يديها بالعصا. وتعيّنَ على الفتاة تكرار الجملة 112 مرة قبل أن يُعلِّمَ معلمها نهاية الدرس الأول.

في تلك الليلة، بينما كانوا يتناولون طعام العشاء المؤلف من الأخطبوط الجاليكِي مع الأرز الأبيض، سأَلَ الوالدان ابتهما كيف كان درس فنَّ مخاطبة الجمهور الأول، وما إذا كانت قد تعلمت شيئاً مفيدةً تود مشاركتهما إياه. قالت الفتاة اليافعة:

- تيتوس ليفي كان مدمِنَ كوكايين /cokehead.

- ما هذا يا فتاتي؟ سأَلَ والدها.

- تيتوس ليفي كان مدمِنَ كوكايين. كررت المراهنقة.

نظرَ والدا فاليريَا بعضهما في عينيه بعض وأكلاً ما تبقى من الأخطبوط بصمت.

في تلك الليلة ارتدى والدا الشابة بذلِي الجرذ والفارأة المحمليتين، وعوَضَا عن القراءة ومشاهدة التلفاز، مثلما يفعلان كل ليلة تقريباً، عمَدَا إلى جماعٍ غريب صاحب وغير منقطع. عندما انتهيا، وما يزالان شبه مرتدِيَن بذلتيهما، استلقى الزوجان وراحَا يحدقان في السقف صامتين.

-1- غيرمو شيريدان (1950): ناقد أدبي مكسيكي، وباحث ومعلق عام.

-2- تيتوس ليفي أو تيتوس ليفيوس (59ق.م-17م): أحد أشهر المؤرخين الرومان. ولد في بادوا في شمالي إيطاليا، وعاش في روما في عهد الإمبراطور أغسطس. كانت دراسته مركزة على القانون والخطابة. حاز كتابه "التاريخ منذ تأسيس المدينة" شهرة عظيمة في العصور القديمة.

-3- أوكتافيو باث (1914-1998): شاعر وأديب وسياسي أميركي.

القطعة المجازية رقم 4:

جبل القاذورات

الفنان: داميان سانشيز أورتيغا⁽¹⁾

اختيرت يوري هيريرا⁽²⁾، قائدة دورية ألفا، كأفضل شرطية مرور للعام 2011. في ليلة أحدٍ، حال فيها الأرق بينها وبين النوم، استذكرت الكابتن يوري هيريرا مناجاة «ماكبث» الشهيرة بأكملها، وهي تبدأ على النحو الآتي: «غداً، وغداً، وغداً»⁽³⁾..

تللت المقطع للمرة الأخيرة أمام المرأة تمام الساعة الخامسة وخمسٍ وعشرين دقيقة صباحاً، بينما كانت ترتب شعرها على شكل كعكة، وتبثتها بمجموعة من دبابيس الشعر والمشابك. ثم وضعت صفارتها بين أسنانها، ونفخت. خرجت إلى الشارع وهي تبدو فاتنة لا عيب فيها. وبينما كانت تعطف عند ناصية لاس أمابولاس (لا مابولا)⁽⁴⁾ التقت بزميلتها الشرطية، فيفيان أبينشوشان⁽⁵⁾، مفافية الرهائن في دورية أو ميغا.

- 1 داميان أورتيغا (1967): فنان مكسيكي معاصر. استهل مسيرته بالرسم الكاريكاتوري السياسي. بإحساسه المدموغ بالدعاية والسخرية يفكك أورتيغا الأشياء المألوفة واليومية، لصنع منحوتاته وأعماله التراكيبية، مُغيّراً من وظائفها وليكشف عن تجارب جديدة فيها والجذب الكامن خلف كل مجسم والعالم الالاهائي داخله.

- 2 إشارة إلى يوري هيريرا (1970)، وهو عالم سياسي، ومحرر، وروائي مكسيكي معاصر.

- 3 مسرحية ماكبث / شكسبير / الفصل الخامس، المشهد الخامس / ترجمة جبرا إبراهيم جبرا: غداً.. غداً.. غداً.. وكل غد يزحف بهذه الخطى الحقيرة يوماً إثر يوم.. حتى المقطع الأخير من الزمن المكتوب.. وكل آماسنا قد أنارت للحمقى المساكين الطريق إلى الموت والترباب.. إلا انطفئي يا شمعة وجيزة! ما الحياة إلا ظل يمشي.. مثل مسكين يتبعثر ويستشيط ساعته على المسرح.. ثم لا يسمعه أحد.. إنها حكاية يحكىها معتوه، ملؤها الصخب والعنف، ولا تعني أي شيء!

- 4 لاس أمابولاس (لا مابولا): (Las Amapolas). بلدة صغيرة جداً تابعة لبلدية سان دييغو أليخاندريا (ولاية خاليسكو) في المكسيك. يبلغ عدد سكانها أربعة أفراد فقط! وكلمة أمابولاس بالإسبانية هي الخشخاش والأفيون.

- 5 فيفيان أبينشوشان (1972): كاتبة ومحررة مكسيكية.

- ماذا لدينا اليوم، يا أبينشوشان؟ سألتها.

- إن المواطن المشتبه به في شارع موريلوس، في سيارة ذات سوابق جنائية، وهو متوجه إلى «حديقة الحب»⁽¹⁾، لقد وصلنا في الوقت المناسب يا شريكتي!

كانت الكابتن أبينشوشان أطول وأقوى من الكابتن هيريرا، ولكنهما كانتا مُتعادلين في الشجاعة. في تلك اللحظة مر بالجوار تيرينس جاور⁽²⁾ وروبن غالو⁽³⁾، مالكا حمام الساونا والبخار العمومي «عيدان الأكل والكسكيسي»، ولوّحا للشرطيتين من على دراجتيهما. رفعت الشرطيتان كتفيهما، ابسمتا، ورددتا التحية بالنفخ في صافرتيهما. وحينئذ عبر الطريق المشتبه به، وفتح نافذة سيارته النissan تصوره بنية اللون، ورمى قنينة بلاستيكية فارغة باتجاههما. وقعت القنينة عند قدمي الكابتن أبينشوشان، فاستشاطت غضباً، وركلتها إلى الشارع بأقوى ما تستطيع. بسبب راكبي الدرجة الودودين، أخفقتا مجدداً بإلقاء القبض على المشتبه به الذي كان يرمي عليهما قنينة كولا فارغة في كل صباح.

«حياتي جبل من القاذورات»، قالت أبينشوشان بنبرة مسرحية بعض الشيء. بينما كانت الكابتن يوري هيريرا، وهي الأكبر سنًا، مستعدة على نحو أفضل لمقاومة ضربات يوم آخر، مماثل لليوم السابق، والآتي، والذي سيأتي بعده، وتلته على شريكتها، بنبرة قوية وجادة تعلم فقط في أكاديمية الشرطة، ذلك المونولوج الشكسييري الذي حفظته في الليلة الفائتة.

أصغت الكابتن أبينشوشان بانتباه، وقد بدأ يحالجه شكٌ مُبهم بأن شريكتها بدأت تفقد عقلها. بيد أنها سارعت إلى كبت هذه الفكرة عميقاً داخلها، وصَفَرَتْ مرتين في صفارتها، دلالة على امتنانها لتعاطف الكابتن هيريرا معها. ولما شعرتا بأنهما بحاجة إلى استراحة، قررت الكابتن هيريرا

1 - Parque del Amor: حديقة الحب الكائنة في ليماسول عاصمة جمهورية بیرو وأكبر مدنها.

2 - تيرينس جاور (1965): فنان ونحات كندي.

3 - روبن غالو (1969): أستاذ في اللغة والأدب والحضارة الإسبانية في جامعة برنسون، وشريك تيرينس جاور الفني.

والكابتن أبينشوشان تناول الفطور في كشك لبيع الجورديتا⁽¹⁾، اسمه «جورديتا بانشو فيا»⁽²⁾، يمتلكه شخص يدعى تونو أورتونيو⁽³⁾، ويقع على ناصية إيزابيل الكاثوليكية⁽⁴⁾، آملتين أن ينقضي الصباح سريعاً.

القطعة المجازية رقم 5:

السوق الاصطناعية

الفنان: أبراهام كروس فيليجاس⁽⁵⁾ سانشيز

في يوم من الأيام ذهب أونامونو إلى المتجر لشراء بيض الدجاج. أونامونو لا يأكل البيض، ولكن زوجته التي لديها ساق خشبية، أرادت أن تطهو العجة، وطلبت من أونامونو الذهب إلى متجر دانييل سالданيا باريس⁽⁶⁾ لشراء البيض. وطلبت منه أن يكون البيض قطعاً أبيض اللون، وليس بنيناً. عاد أونامونو من المتجر ومعه كيس ورقي مليء بالبيض البنّي. عندما نظرت المرأة في الكيس، ولاحظت أن البيض لم يكن من اللون الذي تريده، صاحت: أيها الأحمق! وجعلته يعود إلى المتجر لجلب البيض الأبيض. عاد أونامونو إلى المتجر، حيث اشتري هذه المرة بيضًا أبيض. ولما رجع إلى المنزل، وجد زوجته نائمة على السرير. كانت المرأة قد تركت ساقها

-
- 1 جورديتا **Gordita**: كعكة ذرة صغيرة مقلية أو مخبوزة أو مشوية، وهي وجبة خفيفة شائعة في الشوارع في معظم أنحاء المكسيك.
 - 2 بانشو فيا (1878-1923): جنرال ثوري مكسيكي، يعتبر رمزاً هاماً من رموز الثورة المكسيكية.
 - 3 تونو أورتونيو Antonio Ortuño (1976): روائي مكسيكي وكاتب قصص قصيرة.
 - 4 إيزابيل الكاثوليكية (1451-1504): أو الملكة إيزابيلا الأولى ملكة صقلية وقشتالة وليون. كان لقراراتها آثار كبيرة في تاريخ إسبانيا، ففي عهدها انتهت حروب الاسترداد (سقوط الأندلس)، وأقرت بإيجار مسلمي ويهود إسبانيا على اعتناق المسيحية أو القتل أو الرحيل.
 - 5 أبراهام كروس فيليجاس (1968): فنان بصري مكسيكي.
 - 6 دانييل سالدانيا باريس (1984): شاعر وروائي مكسيكي.

الخشبية مسنودة على منضدة الكتابة ذات الغطاء المتحرك، كدأبها دوماً عندما تأخذ قيلولة منتصف النهار.

حينذاك، وضع كيس البيض على الأرضية المفروشة بالسجاد، وباستخدام الساق المزيفة، ضربها ست ضربات كي تصحو.

القطعة المجازية رقم 6:

الملاك

الفنان: ميغيل سانشيز كالديرون⁽¹⁾

كان غيرمو فادانيلي⁽²⁾ يطالع كتاب فينومينولوجيا الروح⁽³⁾، لصاحبها الذي يحمل ربع اسمه، خورخي غيرمو فيديريكو هيغل⁽⁴⁾، عندما دخل قزم فجأة إلى مطعم «شنغهاي ستار» حيث كان جالساً، وسحب كرسياً، وقعد بقبالته. عرف الرجل عن نفسه باسم بوشكين⁽⁵⁾. طلباً من النادل بعض البيرة وطُفِّقَ بوشكين يبكي. كان السبب من وراء دموعه، حسبما أخبر غيرمو فادانيلي، هو أن أباًه كان متهتكاً. المفردة التي استخدمها هي دونжуان⁽⁶⁾، وليس من المؤكد ما إذا كانت الترجمة «متهتك» صحيحة.

بعد نصف ساعة، غادر بوشكين. وبعدئه مباشرة، دخل قزم آخر إلى المطعم، وجاء للجلوس إلى الطاولة. دعاه غيرمو فادانيلي لتناول كأس من

-1 ميغيل كالديرون (1971): فنان مكسيكي وصانع أفلام.

-2 غيرمو فادانيلي (1960): كاتب مكسيكي. مؤسس مجلة موهو (التي يعرفها بأنها نقطة التقاء أكثر منها وسيلة لنشر الأفكار).

-3 فينومينولوجيا الروح: أو ظواهرية الروح، كتاب فلسفى من تأليف الفيلسوف الألماني جورج فيلهلم فريدريش هيغل. يصف الكتاب ثلاث مراحل جدلية عن حياة الروح، ويمكن ترجمة عنوانه الأصلي بالألمانية إلى ظواهرية العقل.

-4 الاسم من وضع كاتبة الرواية.

-5 إشارة إلى الشاعر والكاتب المسرحي والروائي الروسي ألكسندر بوشكين (1799-1837) الذي اعتبر الشاعر الروسي الأعظم، ومؤسس الأدب الروسي الحديث.

-6 دونжуان: بالروسية، دون جوان.

الشраб. بعدَ أن أخرجَ منديلاً من جيبه، ومسحَ الدموع المنهمرة على وجهه، وتمخط بصوت عالٍ، قال القزم إن اسمه غوغول^(١)، وأن سبب حزنه هو أنه عرفَ أن والده كان مُنحطًا. في هذه الحالة كانت الكلمة التي استخدمها هي вырождаться. وعلى ما يبدو كل شيء يشير إلى أن ترجمة الكلمة بـ «منحط» صحيحة.

عندما غادرَ غوغول، جاء قزم ثالثُ إلى المطعم. وكما كان متوقعاً، كرر نفس الروتين الذي اتبّعه القزمان السابقان، ثمَّ جلسَ إلى الطاولة. وبينما كانَ يتمخط، أمعنَ فادانيلي فيه النظر ثمَّ سأله: دعني أخمن، اسمكَ هو دوستويفسكي، وأنت مبتئسٌ لأن زوجتك трутень (كسول). حدّقَ فيه القزمُ متعجّباً، وبعدَ أن تناول جرعة كبيرة ومطولة من البيرة، سأله: لم تقول هذا؟ وأجاب غيرمو فادانيلي بأنه догадался по горячности / (خمنَ ذلك من حرارة صوته)، وابتسمَ ابتسامة ساخرة بعض الشيء.

أنت مخطئ يا غيرمو. اسمي دانييل خارمس، وأنا أتمخط لأن لدى حساسية من غبار الطلع.

في تلك اللحظة اقتربَ النادل من الطاولة حاملاً سلةً من كعك الحظ الصيني. تناولَ غيرمو فادانيلي واحدة، وشطرها إلى نصفين، بالطريقة التي تكسر فيها البيضة. وتركَ القصاصة الورقية تسقطُ على الطاولة. ثمَّ فضّها بيضاء، وشرعَ يقرأ بصوت عالٍ:

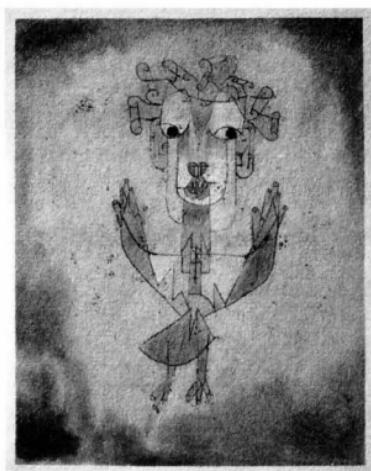
«هذه هي الطريقة التي يتخيّل بها المرء «ملائكة التاريخ». يلتفتُ بوجهه نحو الماضي. حيثُ يبصر سلسلة من الأحداث؛ تراءى له كارثة تراكمُ الخراب فوقَ الخراب، وتُلقى به على قدميه. يودُّ الملائكة لو يتوقف، لوا أنه يوقفُ الموتى، لو يُعيد تجميع ما تبعثرَ إلى أشلاء، لكن إعصاراً يهبُ من السّموات، فإذا بجناحيه يتشاركان، مُشكّلين عقدةً من الأضواء الذرية اللامعة، عقدة من فرط قوتها تجعل الملائكة عاجزاً عن ضمّ جناحيه. هذا

- إشارة إلى الكاتب الروسي وأحد آباء الأدباء الروس نيقولاي فاسليفتش غوغول (1809-1852).

الإعصار يدفعه حتماً نحو المستقبل، الذي يدبر ظهره له، بينما يرتفع **الحُطَّام** إلى عنان السماء من أمامه. إن ذلك الإعصار هو ما ندعوه بالتقدم». والتر بنiamين^(*).

- هل ورد في القصاصة الورقية كل ذاك؟ سأله دانييل خارمس.
 - نعم، أجاب غيرمو فادانييلي.
 - لا أصدقك! أجابه خارمس بغضب، وأطلق النار على فادانييلي بين عينيه. ثم انتزع كعكة من السلة التي كان النادل ما يزال يحملها. وقام بمحاكاة حركات رفيقه الذي فارق الحياة، وذلك بأن كسر كعكة الحظ إلى قسمين متطابقين، وأسقط القصاصة الورقية على الطاولة، ثم التقطها، وقبل إطلاق النار على نفسه، قرأ:
- عندما تقضي براعم الخيزران بأسنانك، تذكر الرجل الذي زرعها.

- تأويل والتر بنiamين لللوحة «الملاك الجديد».



* والتر بنiamين (1892-1940): فيلسوف وناقد أدبي ألماني، من أشهر أعماله «مهمة المترجم» و«أطروحتات حول مفهوم التاريخ». في الأطروحة التاسعة من أطروحتاته حول مفهوم التاريخ وردت قراءته للوحة الرسام السويسري الألماني بول كلي، المُسماة «Angelus Novus / آنجيلوس نوفوس / الملاك الجديد»، كان بنiamين قد اشتري اللوحة عام 1921، ورأى في الشخص المصور فيها «ملاك التاريخ» الذي يتذكر ماضي البشرية، ويشفق على مستقبلها.

القطعة المجازية رقم 7:

بونساي⁽¹⁾ شجرة البابا

الفنان: سام سانشيز دورانت⁽²⁾

قاسي ماريو ليفريرو⁽³⁾ شهراً عصبياً. انقضى شهر سبتمبر تقريباً ولم يتمكن من بيع بوليصة تأمين واحدة؛ على ما يبدو لم يعد هناك أحد يخاف من الموت. عندما غادر مكتبه «التأمين في كل لحظة» يوم الجمعة، تمشى إلى مشتل السيد أليخاندرو ثامبرا⁽⁴⁾، واشترى شجرة باوباب مُصغرّة (بونساي). كان يشعر بالنقص وانعدام الكفاءة، لدرجة أنه حاول الانتحار بشنق نفسه من فرع من تلك الشجرة الصغيرة. إلا أنه أخفق في ذلك.

القطعة المجازية رقم 8:

دمية الكلب المحسوّ

الفنان: ماوريتزيو كاتيلان⁽⁵⁾

قبل بضع سنوات، حاول ألثارو إنريكيه⁽⁶⁾، سائق الحافلة على الطريق

- 1 البونساي: **Bonsai** شجرة مُصغرّة، أو تزييم الأشجار بطريقة التقليم الجذري، بحيث لا تتجاوز الشجيرة 60 سم. والبونساي بالأصل فنٌ ياباني الغرض منه التأمل وممارسة متعة الجهد وليس إنتاج الشمار.
- 2 سام دورانت (1961): فنان أمريكي متعدد الوسائط تنطوي أعماله على قضايا اجتماعية وسياسية وثقافية.
- 3 خورخي ماريو فارلوتا ليفريرو (1940 - 2004): مؤلف وروائي من الأوروغواي. في رصيده ما يزيد عن العشرين رواية.
- 4 أليخاندرو ثامبرا (1975): شاعر تشييلي، كاتب قصة قصيرة وروائي. نالت روايته الأولى **Bonsai** جائزة النقاد التشيليين لأفضل رواية عام 2006.
- 5 ماوريتزيو كاتيلان (1960): فنان إيطالي اشتهر بتركيباته المثيرة للجدل. اشتهر بعمله «أميركا» وهو عبارة عن مرحاض مصنوع بالكامل من الذهب الخالص عيار 18 قيراط، ويزم إلى فرط ثروة الولايات المتحدة.
- 6 ألثارو إنريكيه (1969): روائي مكسيكي وكاتب قصة قصيرة وكاتب مقالات. وهو زوج فاليريا لوبيز للي صاحبة هذه الرواية.

M100، أن يدهس غدرًا سيدة عجوزًا مسلولة في أفينيدا ريفولوسيون (شارع الثورة). قضى في السجن فترة قصيرة ولكنها كانت فظيعة.

بعد إطلاق سراحه، التقى بعد ظهر أحد الأيام في حانة السيدة أبراamo (ليكُن نور⁽¹⁾)، وأخبرني بأنه في ذلك اليوم المسؤول، استقلَّ كاتب العدل خوان خوسيه أريولا⁽²⁾ حافلة عند التقائه شارعي لوما بونيتا والجادَّة الداخلية. وحالما رأه أثاره إنريكيه، عَلِمَ أن حضوره نذير شؤم. وحقيقة ما جرى أنه في المحطة التالية، رفع توءمان متماشان ارتدى كل منهما قميصاً بأكمام طويلة، وعرَفَا عن نفسيهما باسم أوسكار دي بابلو، وبيدرو دي بابلو؛ رفعا إلى الحافلة سيدَّة على كرسي متحرك تحمل كلبَّا نائماً بين ذراعيها. وتعاونا فيما بينهما على رفعها من الكرسي المتحرك، ثم أجلساها في الكرسي المجاور لكاتب العدل، وترجلا من الحافلة بصمت. ظلَّ الكلب نائماً كالطفل بين ذراعي السيدة العجوز المترهلتين. مكتبة سُرَّ من قرأ

بعد مجمعين سكينين، طلبت السيدة العجوز إزالتها في المحطة التالية قائلة: قِف! وكان بانتظارها توءمان الشابان نفساهما ذوا القميصين بالأكمام الطويلة، وكانا ممسكين بمقبضي الكرسي المتحرك. ارتقى العافلة، ثم رفعا السيدة العجوز، وب مجرد نزولهما من العافلة وضعاهما في الكرسي المتحرك من جديد، والكلبُ ما يزال نائماً بهدوء. وبعد بضعة أبنية، لوح للحافلة الرجال نفساهما، وبرفقتهم السيدة نفسها وما تزال في كرسيها المتحرك. تكررت العملية السابقة ذاتها، وبعد مربعين سكينين، طلبت السيدة التوقف مجدداً، وذلك بأن صاحت: قِف!

وفي الأثناء، تبدى الإنهاك على كاتب العدل، خوان خوسيه أريولا، وكان غير قادر على قول أو فعل أي شيء حيال هذا الموقف العبشي السخيف، الذي كان من الواضح أنه غير محتمل بالنسبة إلى السائق وإلى بعض الركاب. في شارع بارانكا، استقلَّ الحافلة السيد باكو جولدمان مولينا⁽³⁾ والسيدة

-1 - وقال الله: ليكُن نُور، فكَان نور». (سفر التكويرن 1: 3)

-2 - خوان خوسيه أريولا (1918-2001): كاتب مكسيكي شهير.

-3 - جولدمان مولينا (1954): فرنسيسكو جولدمان، روائي وصحفي أميركي. ويُعرف أيضاً باسم فرانسيسكو جولدمان مولينا، «فرانك» و«باكو».

غودالوبي نيتل⁽¹⁾. أخرجها كل منهما غيتاره وراح يعزفان «لا غوانابانا». تجلّت ابتسامة طفيفة على وجه ألثارو إنريكيه. انعطّفَ يميناً باتجاه شارع ريفولوسيون، وطلّب إلى باكو وغودالوبي أن يعزفَا «لا براخَا». وبينما كان باكو جولدمان يعني وغودالوبي تداعباً أوتار غيتارها، تكرر صعود ونزول السيدة العجوز المشلولة وكلبها النائم مرة أخرى، بمساعدة التوءمين المشؤومين.

ثم ضاقَ ألثارو إنريكيه بهم دُرّعاً، وما عادَ بوعيه احتمال المزيد. فاضَ نصف الكوب الفارغ من صبره «الإسباري»⁽²⁾ الذي يُضرّب به المثل. عندما رأى التوءمين بالقميصين ذوي الأكمام الطويلة واقفين على ناصية شارع ريفولوسيون وبيريوديزمو مثل تمثالي أبي الهول حاذدين، يحرسان السيدة في كرسيها المدولب وكلبها النائم المقرف، وهما يلوحان للحافلة من جديد، قادَ حافلته مباشرةً باتجاههم أربعتهم. تمكّن التوءمان والعجوز، التي تبيّن أنها غير مشلولة، من تفادى الحافلة بإلقاء أنفسهم على جانب الطريق. إلا أن الكلب ماتَ في ذلك الحادث المؤسف.

القطعة المجازية رقم 9:

نوتة موسيقية على حامل ثلاثي القوائم
الفنان: فيرناندو سانشيز أورتيغا⁽³⁾

سوّي ماريو بيلاتين⁽⁴⁾ وسيزير آيرا⁽⁵⁾ معطفيهما الأسودين، وعدلاً

-1 غودالوبي نيتل (1973): كاتبة مكسيكية. صدر لها أربع روايات.

-2 الصبر الإسباري: عُرفَ عن مدينة إسبارطة أنها كانت مجتمعًا محاربًا في اليونان القديمة، وتمحورت الثقافة الإسبارية حول الولاء للدولة والخدمة العسكرية، وبناء على ذلك كان الصبية الصغار يتلقون تعليمًا عسكريًا مكثّفًا، ويدربون على الصبر والانضباط والتحمل. كما عُرفَ عن الإسباري تقشهه بالكلام.

-3 إشارة إلى فرناندو أورتيغا (1971)، فنان مكسيكي معاصر.

-4 ماريو بيلاتين (1960): روائي مكسيكي. من أعماله «صالون التجميل» و«فلوريس» و«الداما الصينية».

-5 سيزير آيرا (1949): كاتب ومتّرجم أرجنتيني، يعتبر مثلاً على الأدب الأرجنتيني المعاصر. نشر آيرا أكثر من مئة كتاب قصير من القصص والروايات والمقالات.

نظار تيّهما الشّمسيتين، وَنظرًا بِإِعْنَانٍ فِي العَلَامَةِ نُصْبِ أَعْيْنَهُمَا. جَدَّبَا نَفْسًا عَمِيقًا عَلَى نَحْوِ مَتَزَامِنٍ، وَاسْتَهَلَّ بِعَلَامَةِ سِيِّكَيْرِي: «الْرَّبُّ يَرْعَانِي، فَلَا شَيْءٌ يَعْوِزُنِي^(١)..

نِهايةِ الْمَجَازَاتِ.

ولَمَّا فَرَغْتُ مِنِ الإِمْلَاءِ، أَعْدَدْتُ وَجْهَةً مَكْوَنَةً مِنِ الْخَبِيزِ وَالْطَّمَاطِمِ لِي وَلِفُورَاجِينِ، وَقَعْدَنَا عَلَى كَرْسِيِّ الْأَكَابُولِكُو لِمَشَاهِدَةِ التَّلْفَازِ، أَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَبَدًا مَتَى يَصْنَعُ الْمَجَمِعُ مِنِ الْحَبَّةِ قَبَّةً. كَانَتْ نَشَرَةُ الْأَخْبَارِ تَدْقُّ نَاقْوسَ الْخَطَرِ. الإِبْلَاغُ عَنِ الْعَمْلِيَّةِ سَطْوٌ وَاسِعَةُ النَّطَاقِ فِي مَعْرِضٍ تَابِعٍ لِمَصْنَعِ الْعَصِيرِ. وَكَانَتْ الشَّرْطَةُ قَدْ أَلْقَتْ الْقِبْضَ عَلَى مُشْتَبِهِ بِهِ، لَمْ تُفْصِحْ عَنِ اسْمِهِ بَعْدَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَلَى صَلَةٍ بِالْمَصْنَعِ. كَانَ الْخَوْفُ عَلَى إِلْ بَيْرُو هُوَ أَوْلُ خَاطِرٍ رَاوَدَنَا. مِنْ ثُمَّ الْخَوْفُ عَلَى أَنفُسِنَا بَعْضَ الشَّيْءِ. وَلَكِنَّعْنَدَمَا هَاتَفَتْهُ قَالَتْ زَوْجَتُهُ إِنَّهُ فِي قِيلْوَةٍ. كَنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهُمْ اعْتَقَلُوا سِيدَهَا رَتَا.

- وَكَنْتُ عَلَى حَقٍّ، أَلِيسْ كَذَلِكَ يَا فُورَاجِينِي؟

- بَلِي، أَيَّهَا الطَّرِيقُ السَّرِيعُ، لَقَدْ كَنْتَ مَحْقَّاً.

وَمَعَ ذَلِكَ، قَرَرْنَا التَّخَلُّصَ مِنِ الْأَغْرَاضِ بِأَسْرَعِ وَقْتٍ مُمْكِنٍ. فِي تِلْكَ الْلَّيْلَةِ طَلَبَنَا مِنْ إِلْ بَيْرُو مَسَاعِدَنَا فِي نَقلِهَا إِلَى سَاحَةِ الْخَرْدَةِ التَّابِعَةِ لِلْسَّيِّدِ إِبِيَارْغُونِغُوِيتِيَا^(٢)، الْكَائِنَةِ فِي شَارِعِ فِيروْكَارِيلِ (السَّكُكُ الْحَدِيدِيَّةِ). حَصَلْنَا عَلَى مَئِةِ بَيْزَوْ ثَمَنًا لِلْأَغْرَاضِ.

- وَأَعْتَقَدْتُ أَنَّهُ بِمَقْدُوريِّ الْآنِ الْقَوْلُ إِنِّي عَشْتُ بِسُعَادَةِ، أَلِيسْ كَذَلِكَ يَا فُورَاجِينِي؟

- أَعْتَقَدْتُ ذَلِكَ أَيَّهَا الطَّرِيقُ السَّرِيعُ.

إِذْنَ دَوْنَ هَذَا عَنْدَكَ، وَلَنْذَهَبَ لِلقاءِ بَعْضِ السَّيِّدَاتِ.

-1 المزمور 23 - مزمور داود.

-2 إشارة إلى الروائي والكاتب المسرحي المكسيكي خورخي إبیارغونغويتا (1928-1983). من كتبه «الميئات».

من يسرق بيضة يسرق ثوراً⁽¹⁾

الكتاب السادس

الإضمارات

إن كانت عبارة «مؤلف ويفرلي» تعني شيئاً آخر سوى «سکوت⁽¹⁾»، فلسوف تكون عبارة «سکوت هو مؤلف ويفرلي» خاطئة، وهي ليست كذلك. وإن كانت عبارة «مؤلف ويفرلي» تعني «سکوت»، فسوف تكون «سکوت هو مؤلف ويفرلي» حشواً، وهي ليست كذلك. لذلك، فإن عبارة «مؤلف ويفرلي» لا تعني «سکوت» ولا أي شيء آخر؛ أي أن «مؤلف ويفرلي» لا تعني شيئاً.

• برتراند راسل

عندما تعرّفت إلى الطريق السريع في البداية كان مريضاً وضعيفاً. كلما رأى انعكاسه في المرأة، كان يقول إنه أشبه بدرجات في الفناء الخلفي، ثم يقوّق في وجهه في المرأة. في الواقع، كان الشّعر القليل الذي لديه متتصباً دائمًا للأعلى؛ وكان لديه ساقان هزيلتان معروقتان، وبطنٌ مستدير متتفخ. كان قد فقد أسنانه المزيفة الحبيبة، وعليه؛ كان الشيء العادي كالكلام مثلًا، إن لم يكن مستحيلًا، فهو معركة مستمرة في وجه الإذلال. بيد أن الطريق

- 1 - السير والتر سکوت (1771-1832): الروائي والكاتب المسرحي والشاعر الإسكتلندي الشهير.

السريع كانَ رجلاً هينًا لينَ العريكة. لم يتحقق يوماً بالاستيقاظ مبكراً، في مزاج جيد، من ثمّ كانَ يضبطُ الراديو على إذاعة تَبُثُّ موسيقى جميلة، وكانَ يُحضرُ القهوة لكلينا. و كنتُ أَحْقُّ به إلى المطبخ بعد ذلك بقليل، على أَهْبَة الاستعداد للإصغاء إلى قصصه، و تدوين الملاحظات.

عندما بدأ الطريق السريع برواية قصصه على للمرة الأولى، ظنتُ أنه يعني من الكذب القهريّ. ولكن بعد أن عشتُ معه، أدركتُ أن الأمر غير متعلق بالكذب ولم يتجاوز عين الحقيقة. كانَ الطريق السريع روحاً من تلك الأرواح الرحيبة الأبديّة. كانَ حضوره في بعض الأحيان بمنزلة تهديد، وليس لأنَّه كانَ يمثلُ تهديداً حقيقياً لأي شخص، ولكن لأنَّه، وبالمقارنة مع حرّيّته الجامحة، فإنَّ جميع المعايير التي نعتمدُها عادة لقياس أفعالنا تبدو تافهة. كانَ الطريق السريع ضاجِّاً بالحياة أكثر من الإنسان العادي. حتى الآن، بعد مماثله، ثمة أشخاص يعتقدونَ أنهم يلمحونَه وهو يمرُّ بسرعة، مُندفعاً نحو جهة ما، على دراجته التي حصلَ عليها من جناح جاور للدرجات أمام معمل العصير [الشكل رقم 1]. ويقول إل بيرو دوماً، إنه في بعض الأ صباح، ومع بزوغ أول شعاع شمس، بالإمكان رؤية «الطريق السريع» على قمة إحدى التلال التي تحدد حوض هذه الأرض القاحلة.

نسختُ قصصه، من ثمّ قام رفيقاي في السكن القديم بطبعتها في كتبيات صغيرة في مطبعتهما «الرُّكْن الثَّقَافِي» [الشكل 2]. لم يرها الطريق السريع قط، ولكنني متأنِّد من أنه كانَ سيفتخر بها. مقابل عملي ناسخاً، لم يمنعني الطريق القوَّة والسكنى فقط، لا بل التعليم أيضًا. كانَ يصطحبني للمشي يومياً أو لركوب الدراجة في شوارع إيكاتيبيك، بما أنه كانَ على قناعة، بأنه بإمكانِي ذات يوم أن أصير المرشد السياحي الأول في المنطقة. في البدء، بدت الفكرة حمقاء. إنَّ كانَ ثمة تجسيد ماديًّا للعدم في هذا العالم، فهو إيكاتيبيك دي موريلوس. ولكن مع الوقت، بدأتُ أُوقنُ في تلك المسألة، فكما هو الحال مع كل شيء تقريباً، كانَ الطريق السريع محققاً. من خلال قصصه، صارت إيكاتيبيك صالحة للسكنى بالنسبة لي، لذا ربما، ذات يوم إن رويتُ هذه القصص، ستكون إيكاتيبيك مكاناً يزوره الناس.

يوم التقينا، وبعد أن أخذت أمتّعني القليلة من الشقة التي تشاركتها

مع «دارلينغ» و«أندرستاندينغ»، قُدنا دراجتنا إلى منزل الطريق السريع في ديزنيلاندия [الشكلان 4و3]. وكان مستودعه هو المكان الأول الذي دخلنا إليه. أرشدني إلى المكان كأننا ندخل معبدًا. تنقل الطريق السريع صامتاً في أرجاء المستودع ببطء، وقد لاح على محياه أثر ابتسامة بلا أسنان. وكنتُ من خلفه على بُعد بعض خطوات. وبينما هو يشير إلى أركانٍ فارغة، راح يصفُ أشياء، لم يكن أيّ منها موجوداً في الواقع: مجموعة أسنان، بالطبع، وأيضاً خرائط قديمة، قطع غيار سيارات، دُمى روسية، صحف بأيّ لغة تخيلها، عجلات معدنية قديمة، مسامير، دراجات، أجراس، أبواب، أحزمة، سُترات، أحجار، وماكينات خياطة. قدم لي جولة حماسية محمومة على ما أسماه مجموعته الكبرى من المقتنيات. من الصعب التحديد ما إذا كانت تلك الدقائق حزينة أم نورانية.

في وقت من الأوقات امتلك الطريق السريع مجموعة غنية ومتعددة لا يمكن تصوّرها. كان رجلاً قد أحبَّ الأشياء المحسوسة بصدق. ومحبّته لها فاقت قيمتها المادية الحقيقة، إذ كانت قيمتها بالنسبة له تكمّنُ، بطريقة ما، في الشيء الذي تضمنته بِصمت. منذ سنٍّ صغيرة جدًا انساقَ مع رغبته العارمة ليجمعَ بدقةٍ وعناية كل شيء اعتقدَ أنه قابل للجمع، من القطع المعدنية التي وجدتها على الأرصفة، والأزرار التي سقطت من قمصان رفقاء في المدرسة، إلى أظافر والده وشعر أمّه.

في وقتٍ متاخر، ولكن ليس بعدَ فواتِ الأوّان، عندما كان في سنِّ الثانية والأربعين، اكتشفَ موهبته وصنعته الحقيقة في البيع بالمزاد العلني. في ذلك الوقت كان يعيش مع فلاكاً منذ بضع سنوات، وكان ابنه سيدهارتًا ما يزال رضيعًا يسيل لعابه. كانت حياته كلها ممتدة من أمامه. ولكن عندما ذهب الطريق السريع إلى الولايات المتحدة بموجب منحة لحضور دورة متقدمة في البيع بالمزاد العلني، تركته فلاكاً. في غيابه، تعرّفت السيدة على رجل كاثوليكي متعنتٍ من «يوكتاتان» من نفس طبقتها الاجتماعية، وانتقلت للعيش معه، وأخذت سيدهارتًا معها. ثم ماتت بعد ذلك ببضعة أعوام، ولكنها تركت في وصيتها أن سيدهارتًا يجب أن يتبرّع في كنف زوج والدته. بتصوري أن الطريق السريع لم يكن يفقه في القانون كفاية لكي

يدرك أن وصية فلاكا ليس لها أي قيمة قانونية إطلاقاً. لدى انطباع أن الطريق السريع لم يتعافَّ قط من الضربة التي نجمت عن كل ذلك، على الرغم من أنه كان لديه مصادر عاطفية تكفيه لتنحية الألم جانباً.

وعلى الرغم من كل التدريبات، والموهبة الفطرية في فن البيع في المزادات، عندما عاد الطريق السريع إلى المكسيك، لم يحالفه الحظ في المهنة فيحقيقة الأمر. تحصلَّ على قرضٍ لشراء قطعة أرض صغيرة في الحيِّ الذي ولدَ فيه، وشيدَّ منزلًا ملؤُناً، ولكنه غير صالح للسكن تقريبياً، في شارع ديزنيلانديا. كانَ هذا منزل الطريق السريع لأكثر من عقدين من الزمان. بجانب المنزل، أنشأ الطريق السريع مستودعاً، وضعَ أعلاه يافطةً، مصنوعة حسب الطلب، كُتبَ عليها: دار مزادات أوكلاهوما - ثان دايك.

ظلَّ الطريق السريع في منزله، عملياً ضمنَ منفيٍّ طوعيٍّ، للعامين التاليين. كانَ يخرجُ فقط لابتاع الطعام المعلَّب من المتجر على ناصية الشارع، وإحضار مجموعة متنوعة من الأغراض من الساحة لصاحبها جامع الخردوات الشهير خورخي إيبارغويونغوتيا [الشكل رقم 5]. في كل أسبوع، كان الطريق السريع يشتري، أو يبادل، أو ينشئ الأشياء التي تسترعي انتباذه، وفي بعض أيام الأحد، كانَ ينظمُ بعض المزادات الخاصة في منزله. إلا أن هذه المساعي لم تتخذ طابعاً رسمياً تماماً. كانَ حضور مزادات الأحد، إن حدثَ وحضرها أي أحد، من الجيران الفوضوليين جداً، والمتشردين والمسكاري. لم يشتري أحد أي شيء، لذلك امتلاَّ المستودع تدريجياً بأغراض عديمة النفع. لا بدَّ أن هذا الوضع قد تسبب بإحباط للطريق السريع أكثر مما كان يعلم هو بنفسه.

مرَّ الوقت، وفي يوم من الأيام اتصل بسيدهارتاجاز حسن النية من حيِّ ديزنيلانديا، وهو كارلوس بيلاسكيث⁽¹⁾، ليُخبره بأن «شار الطريق السريع قد فرقع». كانَ على آخرِ رقم، إن جازَ التعبير. وعلى ما يبدو، ما عاد يغادر المنزل من أجل الطعام أو الأشياء. أحياناً، يجلس في الشمس على كرسي أكابولكو موضوعاً في الخارج أمام باب المنزل. كانَ يمضي ساعات طويلة

- 1 - كارلوس بيلاسكيث (1978): روائي وقاص مكسيكي.

هناك، ساكناً، مُحدّقاً في الفراغ، وفي بعض الأحيان يُلْمَع قطعة من مجموعته بقطعة قماش. وبحسب جارة أخرى، وهي لايا خوفريسا⁽¹⁾، كانت للطريق السريع هيئة شاحبة شبه مُحتضرة: «كانت عيناه مثل لمبتهن كهربائيتين عاريتين، من نوع الفلورسینت الأبيض!» كانت أيامه معدودة.

سيدهارتا، وهو فار الطموح من أسوأ نوع، رأى في ذلك فرصة مواتية للاستيلاء على مجموعة مقتنيات أبيه، وليس لأنها قيمة، وإنما لأنها اعتقد أنها فولكلورية بما يكفي لخلق انطباع جيد. مثل معظم القييمين، أراد هو أيضاً أن يكون له عمله الخاص، وأي مكان أفضل من ذلك للانطلاق منه؟ ولأنه عرف أنه لن يصل إلى أي مكان بمفرده، قرر التحدث إلى الكاهن المحلي: واقتراح عليه إجراء مزادٍ علنيٍّ، من شأنه أن يعود على الكنيسة بنسبة معقولة. عندما علم بدوره بمحتلة الطريق السريع، رأى الأب لوبيجي أمara-كاهم كنيسة القديسة أبولونيا - في ذلك فرصة لضرب عصافورين بحجر واحد: جمع الأموال، ثم جمع الأموال. زار الطريق السريع ذات صباح، واقتراح عليه تنظيم «مزادٍ علني مشترك». ثم تصافحا على نية الاتفاق.

قبل بضعة أيام من بدء المزاد، أعطى سيدهارتا للأب لوبيجي وصيحة كيما يوقعها الطريق السريع، ذكر فيها أن بطننا سوف يورث كل مجموعة مقتنياته لابنه. وقع الطريق السريع على الوصية دون قراءتها صباح يوم المزاد، بينما كان يتنتظر إشارة له في غرفة ملابس الكهنة بالكنيسة. ولن أعرف على وجه اليقين ما إذا كان مدركاً أنه بهذا التوقيع، كان يسلم حياته بأكملها إلى سيدهارتا. ولكن بعد التفكير مليأً في الأمر، فإنّ انطباعي هو أنه فعل ما فعل مدركاً له، على نحو ما. وهذا ما يفسّر الطريقة التهكمية اللاافتة التي نظر بها الطريق السريع إلى عيني سيدهارتا مباشرة، لما بيعت جميع الأغراض في المزاد، وسائل من الذي سيفتح المزايدة على وعلى أسنانه؟

في الواقع، في اليوم السابق على لقائنا صباحاً للمرة الأولى، كان الطريق السريع قد اشتريَ هو وأسنانه في مزادٍ علنيٍّ ويسعِ منافس من قبل ابنه سيدهارتا سانشيز توستادو. ثمة روایات مختلفة لما حدث بعد ذلك.

-1- لايا خوفريسا (1983): كاتبة وروائية مكسيكية.

إحدى الروايات تقول إنه بعد المزاد، حقنَ سيدهارتًا بالبنج، وعندما غطَّ الطريق السريع المسكين في نوم عميق طویل إلى أجل غير مسمى، أخذَه إلى مستوصف أسنان، حيث خلع اثنان من الأطباء أسنانه الثمينة. وتزعم رواية أخرى، أنه عند انتهاء المزاد، ذهب الأب وابنه إلى مقصفٍ لتصفية حساباتهما، وفي ذروة السُّكر، وبينما كانَ سيدهارتًا يحاول سحبَ والده إلى السيارة، ارتطمَ الطريق السريع بالأسفلت مرات عديدة حتى فقدَ أسنانه ببساطة. يبدو ذلك مُستبعدًا. ومع أن الطريق السريع رفضَ دومًا إخباري بالقصة الحقيقة لذلك اليوم، ربما لأنَّه ببساطة لم يكن يتذكَّرهاً بوضوح، غير أنَّي أعتقدُ أنَّ الرواية الأولى هي الصحيحة: الطيبيان الشريران، بناءً على أوامر من سيدهارتًا الأكثر شيطنة وخبثًا، هما من خلعاً أسنانه.

ما هو مؤكَّد تماماً، نظرًاً للوجود إثبات عليه شريط فيديو مسجَّل، أنه في مساء يوم المزاد، أودعَ سيدهارتًا والده في إحدى الصالات في معرض خوميكس الفني. وعلى نحو أدق، ألقى سيدهارتًا الطريق السريع في غرفة عُرِضَ على جدرانها الأربع مقاطع فيديو أظهرت أربعة مهرجين يراقبونَ الرأي بفتور تام، فقط راحوا يرمشون أو يتنهدون من حين إلى آخر؛ وهي قطعة مفزعَة إلى حدٍ ما لكنها مؤثرة للفنان ذاتَ الصيت أوغو روندينون [الشكل 6].

بعد أن تركَ أبياه قبالة فيديوهات المهرجين المتختَّسين لروندينون، ذهبَ سيدهارتًا إلى الغرفة حيثُ يُحتفظ بمعداتِ الأمن السمعية والبصرية في المعرض، وشرعَ في إجراء محادثة مع أبيه عن بُعد، عبرَ أحد أنظمة مكبرات الصوت. «المحادثة» هي إحدى الطرق لوصفِ ما حدث؛ ذلك أنه سيدهارتًا قد بذَّلَ قصارى جهده لتعذيب والده والتوكيل به، وسجَّلَ ذلك، على الأرجح لاستخدامه في المستقبل. وكلفه بالقيام بمجموعة من المهام الغريبة، كأنَّه يبحثَ مثلًا عن دراسات حول الثورة الروسية والسيارة الفولكس فاجن البيضاء. لكنَّ بطلنا كانَ مخلوقًا من أكثر العناصر صلابة. عندما تمكَّنَ أخيرًا الطريق السريع غير القابل للكسر من استجمام ما يكفي من القوة لمعادرة «غرفة الأشباح»، مثلما يشير إلى هذا المكان عادةً كلما سردَ الحكاية، ركبَ دراجة هوائية وانطلقَ في نور الشمس على امتداد ذلك الشارع الأسطوري، سونوروا أورينت، حيثُ تقاطعت أقدارنا لحسن الحظّ.

كانت الأيام القليلة الموالية، بعدهما اكتشفَ أنه خسرَ كُلّ شيءٍ، صعبَةٌ على الطريق السريع. ترددَ في صمتٍ مهيبٍ، كسرهُ في خاتمة المطاف ليقول: «أعتقدُ أنني صرتُ شخصاً مريعاً. في الحقيقة، بِتُّ كائناً زاحفاً. هل تعلم أن الزواحف كائنات غبية لأنها تستخدمُ كامل قدرتها الدماغية تقريباً في الشعور بالخوف؟» ألحَّت عليه لكي يحصل على طقم أسنان مؤقتة حتى يتمكن من تناول الطعام بشكل صحيح، ويتسنى لنا بذلك البدء بنسخ سيرة أسنانه الذاتية. ومع أنه قاومَ في البداية، فإنه وافقَ أخيراً، وشرعنا في العمل.

ولكن الطريق السريع لم يتعافَ تماماً العافية، وكانَ يعيشُ حالةً من التشوّش الكثيف. في ذلك الوقت نفسه تقريباً، انضمَّ من تلقاء نفسه إلى مجموعة العلاج بالسّكينة لمرضى الأعصاب المجهولين، في شارع المفكرين المكسيكيين، إلى جانب ورشة البومة لتصليح الأسلحة النارية [الشكل 7]. انتهت الأسابيع الأربع التي قضتها مع جمعية السّكينة على نحوٍ سيء ثم على نحوٍ حسن. فأما الجانب السيئ، فلأنَّ اللقاءات الأولى شكلت لدى الطريق السريع قناعة بأنه رجلٌ مريض، وهو ما كانَ كذلك، وكانَ مقتنعاً تقريباً بحبسِ نفسه في ديرٍ كاثوليكي. وأما الجانب الحسن، فلأنَّه في أسبوعه الثاني هناك، التقى برئيسة نقابة محضرمة، اسمها «لا إلفييس»، التي بعد سماعها قصة الطريق السريع أثناء جلسته الثالثة مع المجموعة، أقنعته بأنه لم يكن عصبياً، لكنه كانَ في الحقيقة رجلاً شريفاً نزيهاً، وسليماً نفسياً وذهنياً؛ قد سلَّبهُ ابنه النَّذل الشقيّ حقَّه. وأخبرتهُ بأنها رأت كومة من الأسنان معروضة في معرضٍ بجوار معمل العصير، وأنها عملت فنياً لشخص ما، وحثَّتهُ على اتّخاذ الإجراء اللازم. هنا تنفس الطريق السريع الصعداء وشعرَ بأنَّ ساحتَه بُرئَت.

في اليوم الموالي، ذهبنا إلى المعرض الفني في المصنع، واسترجعنا ما هو حقَّ له، بالإضافة إلى بعض الأغراض الإضافية التي اعتقدنا أنه يمكنه بيعها في مزاد ما في المستقبل. لم نفلح قط في تحقيق فكرة ذلك المزاد المستقبليّ، بيد أنَّ الطريق السريع عثرَ على أسنانه واحتفظ بها، وتمكن من

تصنيعها في طقم أسنان على يد صديقه القديم لويس فيليبي فابر⁽¹⁾. وفَكَرْ في آخر الأمر بأنه سيزرع الأسنان زراعة فردية عندما يجمع مالاً كافياً. ولكنه آنذاك، كانَ يرتدي طقم الأسنان حسب مزاجه. مما يعني، أنه كان يلبسه أحياناً وأحياناً لا يلبسه.

مع أسنانه الجديدة، استعاد الطريق السريع إرادته ليحيا أشهره الأخيرة بسلام. في كل ليلة، كنا نقيم جلسات «تعليم الفنان فوراجيني» في بارات الحي. أعجبنا على وجه الخصوص بار اسمه سر الليل [الشكل 8]، حيث التقينا بمعنٌّ وكاتب أغان شاب يدعى خوان سيريرول⁽²⁾، الذي شاركه الطريق السريع الأداء بضعة أسابيع، كل ليلة. رأيتهما في الليلة التي أديا فيها غناء ثنائياً مستوحى من أغنية جوني كاش الكلاسيكية «قاطع الطريق / Highwayman»، وأتبعاهما بأغنية سيريرول الرائجة في تلك الآونة «ميتابيفيتا⁽³⁾». وعندما كان بار سر الليل على وشك الإغلاق، كان يسمح للطريق السريع بإجراء مزاد على قصصه. لقد كان في بار سر الليل أن وضع الطريق السريع أخيراً حيز التطبيق نظرية المكتملة آنئذ حول طريقة المجازية الشهيرة، حيث لا ثبات الأشياء، بل القصص التي تمنحها قيمةً ومعنى. كانت القصص الرمزية بالنسبة إلى الطريق السريع، «مزادات إعادة تدوير جذرية لما بعد الرأسمالية من شأنها إنقاذ العالم من حالته الوجودية كحاوية قمامنة للتاريخ».

في عروضه النهائية، الطريق السريع الذي لم يكن يفتقر إلى البراعة بأي حالٍ من الأحوال، تعلم الإفادة من اللحظات التي كانت تنزلق فيها أسنانه خارجة عن إرادته، وذلك بأن يخرجها كلها من فمه. وكان يمسكها بين أصابعه مثل الصنوج المستخدمة في رقصة الفلامينجو، ووفقاً للمناسبة، كان يجعلها تتكلّم أو تغني وتروي قصصاً ساحرة عن الأغراض المفقودة التي شكلت ذات يوم جزءاً من مقتنياته. توافدت أعداد متزايدة من الناس لرؤيتها، وكانت مفتونين بمشهد طقم أسنان الطريق السريع السحري؛ الآن ترونها، الآن لا ترونها، والقصص التي رواها وباعها معها.

-
- 1 لويس فيليبي فابر (1974): شاعر مكسيكي وكاتب مقالات.
 - 2 خوان سيريرول (1987): معنٌّ وكاتب أغان مكسيكي.
 - 3 Metanfeta بالإسبانية، وتعني ميثامفيتامين (منشط).

كانَ يبدأ دومًا بنفس الطريقة تقريبًا: أسمى الطريق السريع، وأنا أفضل
بائع بالmızاد العلني في العالم. يمكنني تقليل جانيس جوبلين بعد كأسين من
الرّوم. أستطيع إيقاف بيضة على رأسها على الطاولة مثلما فعل كريستوف
كولومبوس في القصة الشهيرة. وبمقدوري تفسير كعك الحظ الصيني.
وأعرف كيف أعد إلى ثمانية باليابانية: إتش، نبي، سَن، شِي، غو، رو،
شيش، هاتشي. كما يمكنني أن أطفو على ظهري.

ماتَ الطريق السريع في نُزُل بوينس دياز، الباب المجاور للبار، برفقة
ثلاث سيدات جميلات بعد إجراء مزادٍ مجازي انتهى، مثلَ عرض مكرر،
بتقليل لجانيس جوبلين وهي تغني «ميرسيدس بينز». تلقيتُ مكالمة من
البُواب صباح يوم وفاته، وتوجهتُ على الفور إلى هناك بصحبة إل بيرو.
لبيّنا طلبه الأخير وذلك بأن نثرا رماده عند أقدام الديناصورات المصنوعة
من الألياف الزجاجية على الجزيرة المنصفة في أحد شوارع باتشوكا، مدينة
الرياح الجميلة [الشكل 9]. وفيتُ بوعدي، وفي الأشهر التي تلت وفاته
كتبتُ سيرة أسنانه. وحرضَ إل بيرو على حصول ابن الطريق السريع على
الملاحظة التي وجدها على الطاولة بجانب فراش موته، تحت كأس الماء
حيث نقع طقم أسنانه الصطناعية:

آسف لأنني أوقعتُك في ورطة،

ولأنك في السجن الآن،

ولأنني لم أكن أفضل الآباء.

كما أني لم أتمكن من العثور

على كل الأشياء التي طلبتها مني.

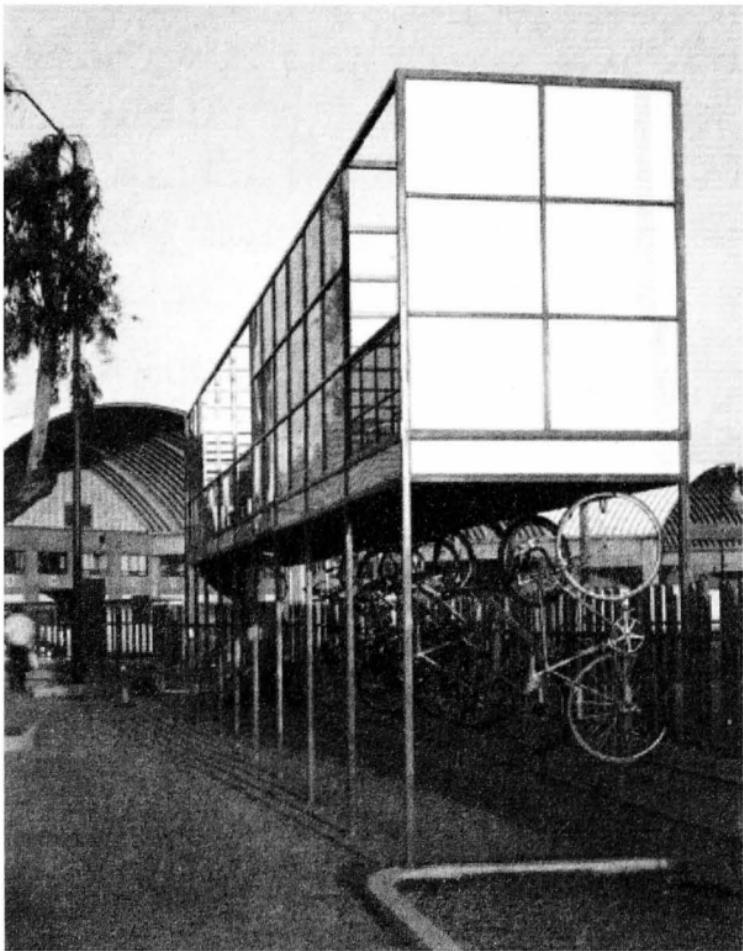
ولكن هذه هي أسنانِي،

وكأس من الماء لك.

يمكنك أيضًا الاحتفاظ بكل مقتنياتي،

وبأسنان مارلين مونرو،

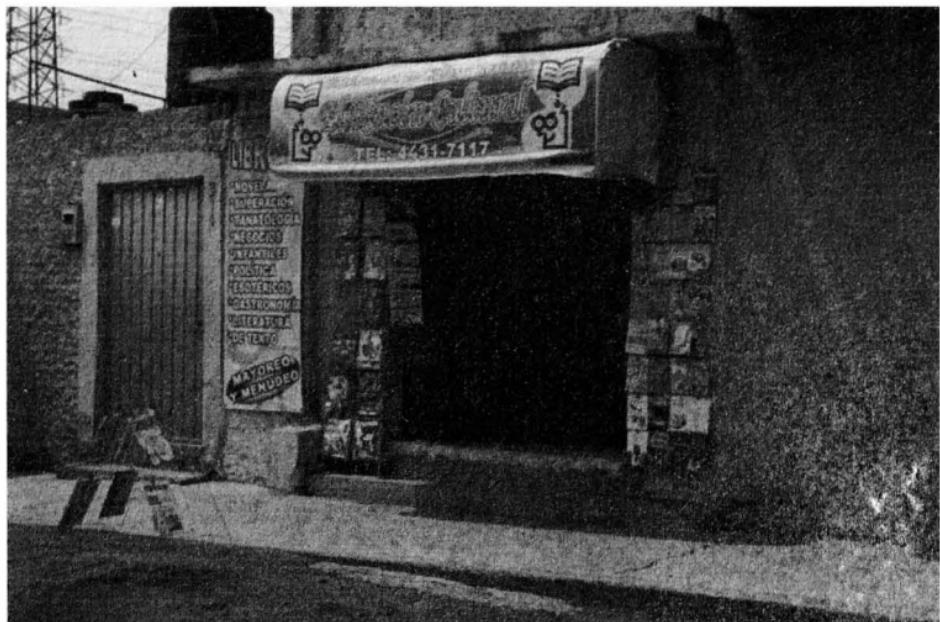
فهي زائفة على كل حال.



١. جناح جاوز للدراجات الهوائية
© فرانسيسكو كوتشن

في كل مرة أرى شخصاً راشداً يقود دراجة، يزيلني اليأس
حيال مستقبل الجنس البشري.

• هربرت جورج ويلز



2. الركن الثقافي
© خافير ريفيرا وإل بورو

دفاتر ملاحظاتي ملأى للأسف؛ هذا الدفتر بالعجز،
وذلك بانتظارِ خاوي لا طائل منه. أصعب الانتظارات، وأشدّها
إيلاماً انتظار الماء لذاته. إن كنتُ سأكتب شيئاً فيه، فسوف
يكون الاعتراف بأنني أنا أيضاً انتظرتُ نفسي زماناً طويلاً
ولمّا أصلَ بعد.

• خوسيفينا فيثينس

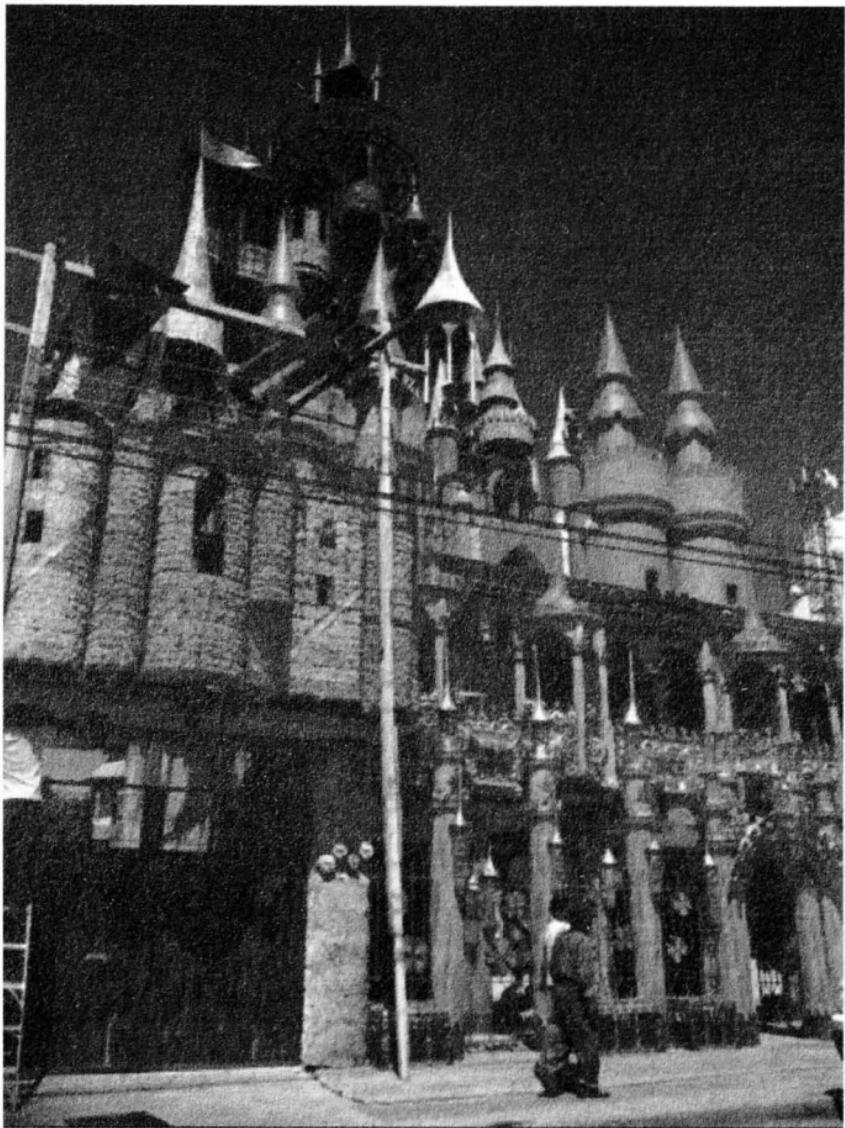


3. دیز نلاندیا

(1) Guía Roji ©

الأشياء في حد ذاتها غير مقبولة أو باردة، وغالباً ما تُرضي بالتقليد.

• ولیام هازلیت



٤. منزل الطريق السريع

© فاليريا لويسلي

تُقدَّم ديزني لاند على أنها مُتخيلَة، لحملنا على الاعتقاد
أنَّ الباقي واقعيٌ.

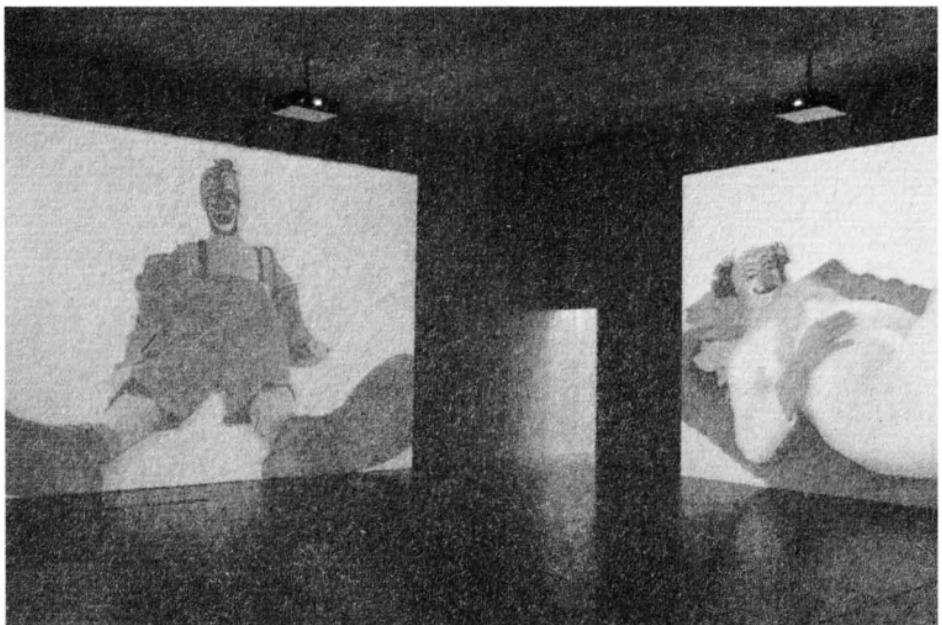
• جان بودريار



5. ساحة الخردة في إيكاتيبك
© خافير ريفيرو وإل بورو

إن اللغة الإسبانية ثوب زفاف قديم ورثناه عن أسلافنا،
ونحن ملزمون بالاحفاظ عليه وعدم المساس به.. لكنَّ أثواب
الزفاف العتيقة صالحة فقط لارتدائها ورؤية أنفسنا مثلَ
هيأكل عظمية. من الأفضل بكثير قصّها، وتفصيل القمصان
منها بدلاً من إبقاءها في كُرات النفالين.

• خورخي إيبارغويونغويتيا



6. كيف السبيل للخروج من هذا المكان؟ أوغو روندينون.
© مجموعة خوميكس، المكسيك.

جعلني «فانشيل» أرى أن القوّة المُسَكِّرة للفن أكثر فاعلية من أي قوى أخرى لحجب أهوال الهاوية؛ حتى بمقدور هذا العبقري تمثيل الكوميديا بينما يقف على حافة القبر، بفرح يمنعه من إبصار ذلك القبر، تائهاً كما في الجنة، التي ترفض الاعتراف بأي فكرة عن الموت والدمار.

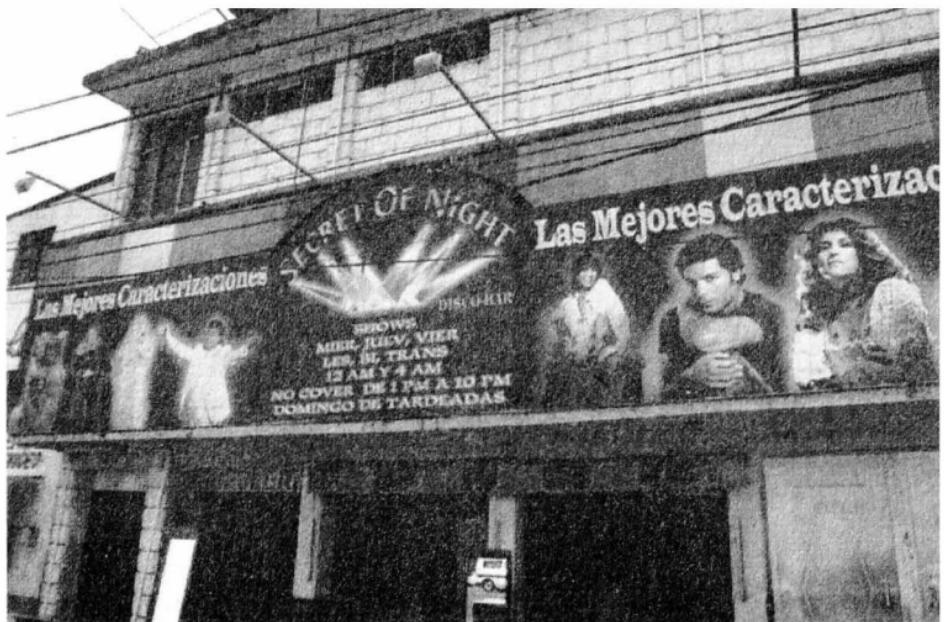
• شارل بودلير



7. جمعية العصابيين المجهولين، وورشة تصليح الأسلحة النارية
© خافير ريفيرا وإل بورو

إن وهن الأعصاب / هبة جاءتني مع باكورة أعمالي.

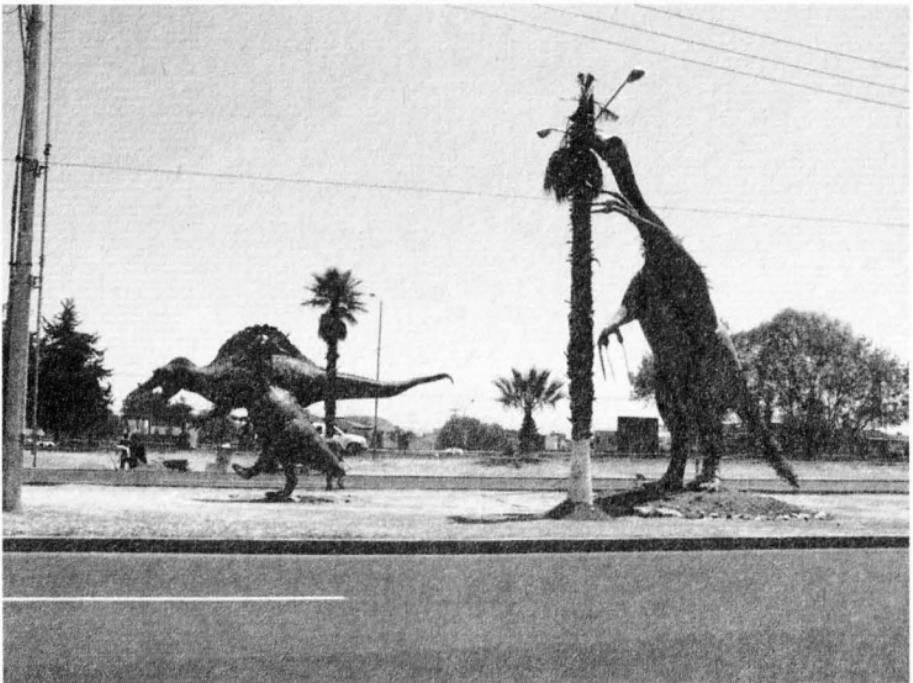
• روبين دارييو



٨. سر الليل
© خافير ريفيرا وإل بيرو

إن الأصالة ليست سوى تقليد حكيم. أكثر الكتاب أصالة
وابتكاراً استعار أحدهم من الآخر.

فولتير •



٩. الشريط المنصف في شارع باتشوكا وديناصورات الألياف الزجاجية

© بولكي^(١)

أنت لا تأخذ شيئاً معك عندما ترحل.

• خوسيه ماريا نابليون

- ١ - بولكي: Pulque شراب مكسيكي تقليدي مُسكر.

الكتاب السابع

التسلسل الزمني

بقلم كريستينا ماكسويني

1938 الرئيس لازارو كارديناس يعلن عن تأمين احتياطيات النفط في المكسيك.

السابع من مايو 1945 الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها في أوروبا.

1945 صدور كتاب برتراند راسل «تاريخ الفلسفة الغربية».

حوالى عام 1945

ولادة غوستافو سانشيز سانشيز، المعروف باسم «الطريق السريع»، في باتشوكا، مدينة الرياح الجميلة.

وانتقال عائلته للإقامة في إيكاتيبيك دي موريلوس.

1940 تدّني الإنتاج في شركة الصّهْر والتّكرير والتّعدّين الأميركيّة في باتشوكا، ما تسبّب في مغادرة العديد من السُّكَان بحثاً عن فرص عمل.

حوالى 1945 انتقال لوحة بول كيلي «الملاك الجديد» إلى رعاية ثيودور أدورنو، بعد انتشار مالكتها والتر بنيامين في «بورتبو».

1945 مرور خمسين عاماً على انطلاق السيد هوبنرايفر في جولة على الدراجة الهوائية في جنوب شرق إنكلترا في رواية هربرت جورج ويلز «عجلات الفرصة».

1950 فيرجينيا وولف تنشر مقالتها «غاز» التي رَوَت فيها تفاصيل

تعرّضها لقلع عدّة أسنان ما بين عامي 1922 و 1923 ضمن «سرير موت الكابتن ومقالات أخرى».

1948 الذكرى المئوية لميلاد عالم المنطق والfilosopher الألماني غوتلوب فريجه.

1954 مولد الكاتب فرانسيسكو غولدمان في بوسطن، ماساشوستوس.

1956 خوليо كورتاشار يتفكّر في تحول السمندل (قنفذ البحر) المكسيكي في جاردن ديه بلونت / حديقة النباتات في باريس، في قصته القصيرة «القنفذ البحري Axolotl».

حوالى سنة 1953

الطريق السريع يستهلّ أول وظيفة له في كشك روبن دارييو للجرائد، ويبدأ بجمع ماضيات الشراب.

1951 رواية سيدهارت لصاحبها هيرمان هيسم تُنشر للمرة الأولى في الولايات المتحدة، وتُسهم لاحقاً في إلهام الجيل «الهيبي».

1955 خمسون عاماً منذ أن قال ميغيل دي أونامونو، لألفونسو الثالث عشر، لدى استلامه الصليب الأعظم للنيشان المدني لألفونسو العاشر الحكيم: «يُشرّفني، يا صاحب الجلالـة، أن أسلـم هذا الصليب، الذي أستـحقه عن جـدارة».

1957 دار بنغوين تُصدر ترجمات روبرت غريفيثز «القياصرة الائـنا عـشر» للمؤرخ الروماني سوتونيوس.

1962 الذكرى المئوية لنشر أول خمسين قصيدة نثرية بقلم تشارلز بودلير «سـأم بـاريـس»، المتضمنة قصة الموت البطولي لمهرـج البـلاط فـانـشـيـول.

1962 في السيرة الذاتية التي كتبـها عن روـبرـت دي مـونـتسـكيـوـ، تـذـكـرـ كـورـنـيلـياـ أوـتـيسـ سـكـينـيرـ بأنـ مـارـسـيلـ بـروـسـتـ كانـ فيـ الغـالـبـ يـقـلـدـ ضـحـكةـ مـونـتسـكيـوـ، وـعـادـتـهـ فيـ عـدـمـ إـظـهـارـ أـسـنـانـهـ.

1965 بدء العمل في تشيـدـ أولـ مـصـنـعـ سيـارـاتـ فـولـكـسـ فـاجـنـ فيـ المـكـسيـكـ.

1962 تصنيع دفاتر Scribe للمرة الأولى في المكسيك.

1966 مرور خمسين عاماً على اكتشاف بوغيو براتشيوليني سُخة من كتاب كيتيليان «معاهد البلاغة/ الخطابة (أوريتوريَا)» في برج قديم في دير سانت غال في سويسرا.

1967 مغني الريف الأميركي ليروي ثان دايك يلعب دور البطولة في فيلم *What Am I Bid?*

1968 من المحتمل أنها الذكرى الخمسون لابتخار دونالد لاو «كعك الحظ الصيني» في لوس أنجلوس.

الثاني عشر من أكتوبر **1968** افتتاح الألعاب الأولمبية في مدينة مكسيكو.

1968 مولد الفنان المتعدد الوسائط دوغ آيتكن في ريدوندو بيتش، كاليفورنيا.

1966

توظيف الطريق السريع حارس أمن في مصنع خوميكس للعصير في إيكاتيبيك دي موريلوس. ويستمر في تجميع الأشياء.

1967 فرقة البيتلز تطلق ألبومها «الرقيب بيير ونادي القلوب الوحيدة» وقد صمم غلاف الألبوم بيتر بليك وجان هاورث.

1967 صدور كتاب سول ليويت «نصوص عن الفن المفاهيمي»، عن دار آرتفورم.

1967 الذكرى المئة والخمسون لنشر «الدائرة المستديرة»، وهي مجموعة مقالات من تأليف ويليام هازليت.

الثاني من أكتوبر، **1968** ارتكاب مجرزة بحق الطلاب المحتاجين في ميدان تلاتيلوكو، في مكسيكو سيتي.

1970 ولد الكاتب والمحرر الأميركي المكسيكي ديفيد ميكلوس في سان أنطونيو في ولاية تكساس.

- 1971** أربعينية سنة على اعتزال ميشيل دي مونتين في قصر أبيه، بعدما سَيِّمَ من الحياة، وكانَ في سنّ السابعة والثلاثين.
- 1971** ميلاد كاتب المقال والشاعر والمحرر لوبيجي أمارا في المكسيك.
- 1971** مولد ميغيل كالدريرون، طفل الفن المكسيكي الرهيب، في مكسيكو سيتي.
- 1973** استقالة خورخي لويس بورخيس من منصبه بوصفه مديرًا للمكتبة الوطنية في بوينس آيرس، بعدما حصدَ أول جائزة من جوائز ألفونسو ريسس الدولية.
- 1973** الذكرى المئوية لنشر السيرة الذاتية لجون ستيلورات ميل، التي تحتوي على تعليقات حول كيفية تأثير كينتيليان على فكره.
- الثاني من يوليو **1976** تغيير اسم مدينة «ساياغون» الفيتنامية إلى «مدينة هوشي منه».
- 1976** افتتاح مؤسسة فولتير في جامعة أكسفورد.
- 1978** ميلاد كارلوس بيلاسكيث، كاتب الأدب الشمالي المكسيكي، في ولاية كواويلا، المكسيك.
- في أوائل السبعينيات المؤلف الإسباني إنيركه بيلا ماتاس يقرأ عن الفنان ريمون روسيل للمرة الأولى في أعمال مارسيل دوشامب.
- 1970** مرور مائتي عام على صدور أول ترجمة أكademie لكتاب بلو تارخ «حيوات متوازية» من لغته الأصلية اليونانية إلى الإنكليزية.
- 1 أكتوبر **1970** جانيس جوبلين تُسجل «ميرسيدس بيتر» في استديو «صوت الغروب» في لوس أنجلوس.
- 1971** مرور ما يقارب 1600 عام منذ أن صلى الشاب أوغسطين أسقف هيبون: «امتحني العفاف والعصمة، ولكن ليس الآن».
- 1971** ميلاد الفنان المختص في الفن الثلاثي الأبعاد فرناندو أورتيغا في مكسيكو سيتي.
- 1971** نشر الجزء الأول من مؤلف آلان كابرو «ثقيف غير الفنان / The

«Education of the Un – Artist والحياة»، في مؤسسة آرت نيوز 69. وفي عام 2011 قام المؤلف والشاعر المكسيكي دانيال سالданا باريس برفع مقال كابرو إلى موقع Scribd الإلكتروني.

1974 مولد الشاعر وكاتب المقال والمحرر لويس فيليبي فابر في مكسيكو سيتي: برج الحوت، طالع برج الميزان، القمر في برج الحمل.

1957-1982 خمسون عاماً على النشر المتسلسل لرواية ألكسندر سيرغييفتش بوشكين *الشعرية (يفغيني أوينيغين)*.

1976 الذكرى السنوية الثلاثين والخمسون لوفاة فرانسيس بيكون، أبي التجريبية، الذي أُصيب بالتهاب رئوي بعد إجراء تجربة في الآثار المترتبة على تجميد اللحوم، التي تضمنت حشو دجاجة بالثلاج.

الخامس عشر من إبريل **1980** عشرات الآلاف ينضمون إلى موكب تشيع جان بول سارتر إلى مدفنه في مونبارناس.

1982 الذكرى المئوية الثانية لنشر كتاب جان جاك روسو *«أحلام يقظة جوّال منفرد»*.

1982 في مقدمة مجموعة قصص لروبرت فالسر، *تقارن سوزان سونتاغ نثر فالسر بفن بول كيلي*.

حوالي العام **1980**

ترقية الطريق السريع إلى منصب مدير الأزمات.
وببدأ في جمع الدورات التعليمية.

1980 مولد بابلو دوراتي، محرر موقع ليراس ليبرس، في مكسيكو سيتي.

1981 اكتشاف كويكب، وتسميته 3453 دوستويفסקי.

1982 في كتابه *«فيتغنشتاين في القواعد واللغة الخاصة»* يعرض شاول كرييك «كرييكنشتاين»، وهو شخصية متخيلة تعتنق آراء مستندة إلى كتابات فيتغنشتاين.

1983 الكاتب المسرحي والروائي خورخي إيبارغونغويتيا يُوارى الثرى في حديقة فلورنسيو أنتيلون، تحت لوحةٍ كتبَ عليها: «هنا يرقدُ خورخي إيبارغونغويتيا في حديقة جده الأكبر الذي قاتل ضد الفرنسيين». الخامس والعشرين من يونيو 1984 وفاة ميشيل فوكو عن عمر يناهز السابعة والخمسين في مشفى «بيتي سالبترية» في باريس.

1984

زواج الطريق السريع من فلاكا.

1983 الذكرى المئوية الخامسة على صدور كتاب يعقوب دي فوراجيني «الأسطورة الذهبية»، مطبوعات كاستون، تروي قصص حياة القديسين.

1984 المغني المكسيكي خوسيه ماريا نابليون، ويُدعى غالباً شاعر الأغنية، يطلق أغنيته Nunca cambies / لا تتغيري أبداً.

19 سبتمبر 1985 زلزال عظيم في مكسيكو سيتي خلف وراءه ما لا يقلّ عن عشرة آلاف قتيل.

1986 جان بودريار يكتب «أميركا»؛ سيرة تروي عن سفرياته في الولايات المتحدة.

1985 سبتمبر 19

ولد سيدهارتا سانشيز توستادو.

سبتمبر 1985 «Highwayman / قاطع الطريق» تتصدر قوائم موسيقى الريف الأميركي.

1985 كارلوس فويتيس ينشر «الغرينغو العجوز».

8 حزيران 1987 مولد المغني وكاتب الأغاني خوان سيريرول - جوني كاش المكسيكي - في مكسيكالي. تضمن ألبومه الثاني Clonazepam «Blues

1987 الكاتب المكسيكي ماريو بيلاتين يسافر إلى كوبا لدراسة كتابة السيناريو السينمائي.

1987-1986

الطريق السريع يحضر دورة تدريبية في المزاد العلني، أعطاها له ماستر أو كلاهوما.

ويلتقي ليري في قان دايك في مدرسة ميسوري للمزادات.
فلاكاً تهجر الطريق السريع، وتأخذ سيدهارتا معها.

1987 الكاتب المكسيكي غيرمو فادانيلي يعيش في برلين لمدة سنة
ويتفاجأ لدى اكتشافه أن البيرة لا تُقدم باردة هناك.
تموز من عام 1988 حلول الذكرى المئوية الأولى لإصدار الطبعة الأولى
من ديوان روبين دارييو «آزو».

1989 قصة خوسيفينا فيثينس القصيرة «بيترита / Petrita» تنشر بعد
مماتها، والقصة مستقاة من لوحة فنية بعنوان «البنت الميتة» كان قد أعطاها
إياها الرسام المكسيكي خوان سوريانو.

2000-1988

الطريق السريع يغدو بائعاً ناجحاً في المزادات العلنية، ويُسافر كثيراً.
ويبدأ بتطوير أسلوبه المجازي في فن المزاد العلني.

1989 معرض يوكو أونو لينون الاستذكاري يُقام في قسم من أقسام
متاحف ويتني.

1991 الذكرى السنوية الستمائة والخمسون على تنصيب بيترارك شاعر
البلاط الأول منذ العصور الكلاسيكية القديمة.

1992 سام دبورانت يقيم معرضه المنفرد الأول في غاليري بليس باسادينا.

1995 الذكرى السنوية الثلاثمئة لوفاة خوان إينيس دي لا كروث، الذي
قيل إن كتاباته أظهرت تأثير البلاغة التقليدية لأرسسطو وكيتيليان وأفلاطون.

1991 دار Serpent's Tail تنشر ترجمة سوزان باسنيت لكتاب مارغو
جلانتر «شجرة العائلة: رواية مصورة في الولايات المتحدة».

3 أغسطس 1992 مرور خمسمئة عام على انطلاق كريستوف كولومبوس
للعثور على منفذٍ من الغرب إلى الشرق، واكتشفَ بالصدفة جزر الكاريبي.

1998 الذكرى المئوية الثانية لنشر قصيدة تشارلز لامب «وجوه قديمة مألوفة»، يصفُ فيها يومَ فزعه.

حوالى عام 1998 فاليريا لوبيزلي البالغة من العمر خمس عشرة سنة تشتري نسخة من كتاب سر خيو بيتوول Vals de mefisto من متجر للكتب في سان كريستوبال دي لاس كاساس، وتخيله على أنه كاتب ميتٌ من أوروبا الشرقية أو من روسيا.

27 أكتوبر 1999 دار كريستيز للمزادات تقييم مزاداً علنياً للممتلكات الشخصية لمارلين مونرو، بالإضافة إلى مجموعة مكونة من أحد عشر قدحاً من أقداح الصودا المكسيكية المتنوعة.

عام 2000 قرابة 2400 سنة على انزواء الكاتب المسرحي اليوناني يوربيديس في كهفٍ في جزيرة سلاميس لكتابه مسرحياته التراجيدية، وكان يصور الشخصيات الأسطورية أشخاصاً عاديين.

3 ديسمبر 2001 وفاة المكسيكي كاتب القصة القصيرة التجريبية خوان خوسيه أريولا.

2002 قدر عدد المكسيكيين غير الشريعين الذين يعيشون في الولايات المتحدة بخمسة ملايين ونصف مليون نسمة.

2002 الفنان التشكيلي تيرينس جاور يُشيدُ «جناح الدراجات الهوائية» على أرضية مؤسسة/ مجموعة خوميكس في إيكاتيبك، مكسيكو سيتي.

2003 أولافور إلياسون يمثل الدنمارك في معرض بينالي البندقية.

2004 كاتبة المقال والقصة القصيرة فيفيان أبينشوشان تستمد الإلهام من قطعة فنية من ورق الإستنسيل في بوينس آيرس كتَّبَ عليها: «قتل رئيسك في العمل، واستقيل».

حوالى عام 2000

الطريق السريع يشتري أسنان مارلين مونرو من مزاد علني في ميامي.

2000 مرور قرابة ثلاثة آلاف عام منذ أن زرع قدموس ولدَ تيليفاسا سنّتين، ودُهشَ لدى رؤيته محاربين مسلحين ينتبونَ من الأرض.

2000 الأمم المتحدة تطلق الأهداف الإنمائية الثمانية للألفية التي يتعين تحقيقها بحلول عام 2015.

2002 الذكرى المئية والخمسون لوفاة نيكولاي فاسيلييفتش غوغول.

2002 مضي ما يقارب ألف وتسعمئة سنة على كتابة تاسيتوس «حوار الخطباء».

2004 «الرواية المضيئة» للكاتب الأوروغوياني ماريو ليفريرو تُنشر بعد وفاته، تتضمن مقدمة من 450 صفحة تسردُ كيفَ أفقَ الكاتب المنحة التي قدمتها له مؤسسة غوغنهايم.

2005 مئة عام على ولادة الكاتب الروسي العبيدي دانييل خارمس مرتين؛ يزعمُ الكاتب أن والده والقابلة دفعاه إلى الرحم مرة أخرى حينما خرج قبل موعده بأربعة أشهر.

2006 رواية «بونساي» للكاتب التشيلي أليخاندرو زامبرا تصدر في إسبانيا عن دار النشر «أناغراما».

2007 شروع الناقد المكسيكي غيرمو شيريدان بكتابه مدوّنته «سجل الواقع» في موقع ليتراس ليبرس.

2007 يوري هيريرا - غوتيريز يغدو محرر المجلة الأدبية «إل بورو».

2009 افتتاح «حديقة الديناصورات» في متحف «El Rehilete» في مدينة باتشوكا.

2010 الكاتب كارلوس يوشيميتو تُصْفيهُ المجلة الأدبية «غرانتا» بالقول: «بيروفِيَ ذو أصول يابانية يعيشُ في بروفيدنس، رود آيلاند، ويكتب عن البرازيل».

2009 «سيكستو بيزو» تنشرُ رواية إيميليانو مونجي «الموت عن ظهر قلب».

2010 في سن السابعة والعشرين، أثناء تواجدها في ولاية ويسكونسن، تتعلم الكاتبة المكسيكية لايا خوفريسا ركوب الدرجة الهوائية.

- الطريق السريع يشتري قطعة أرض في شارع ديزنيلاندия، ويعيش في عزلة. كما أنه واصل جمع التذكارات المحلية.
- 2005 الذكرى المئوية لنشر مقالة غلبرت كيث تشيسترتون «قطعة من الطبشور».
- 13 أكتوبر 2006 مائتا عام منذ أن رأى الفيلسوف الألماني «جورج فيلهلم فریدریش هیغل» نابليون يتتجول في شوارع «بينا».
- 2006 صحيفة ريفورما تختار رواية «El buscador de cabezas» من تأليف أنطونيو أورتيينو، المولود في غوادالاخارا، كأفضل رواية للعام تظهر للمرة الأولى.
- 2007 قطب الاتصالات المكسيكية كارلوس سليم يعتبر أغنى رجل في العالم.
- 2008 في مقالته «فن العيش في الفن»، يذكر الكاتب والناقد الأرجنتيني آلان بولز أنه يمكن فهم الأدب التخييلي على أنه: «خريطة قائمة على الصدف والاختلافات».
- 29 يوليو 2010 أسنان وينستون تشرشل الاصطناعية «المنقذة للعالم» تُباع بقيمة 15,200 جنيه إسترليني في مزاد علني في نورفولك، إنكلترا.
- 2010 روبن غالو ينشر «مكسيك فرويد: في براري التحليل النفسي».
- 2010 الفنان المكسيكي دميán أورتيغا يبتكر كل يوم عملاً فنياً جديداً ولمدة شهر، تحضيرياً المعرضه في غاليري باربيكان للفنون.
- 2011 الفنان التصويري أبراهام كروز فيليغاس يُشكّل «عملاً تركيبياً ذاتياً»، مؤلفاً من فضلات الأغنام وكتل الشعر في متحف تيت موديرن / Tate Modern.
- 2012 دار كريستيز للمزادات العلنية تبيع في مزاد علني لوحة الفنان آندي وارهول المطبوعة بالشاشة الحريرية «القديسة أبولونيا: لوحة واحدة من أصل أربع لوحات للقديسة».

27 أبريل 2012 وفاة ديفيد وايس، نصف الثنائي الفني فيشلي/ وايس، عن عمر يناهز السادسة والستين.

يونيو 2012 خافيير ريفيرو ينشر صورة مع الشرح الآتي: «كيري تُصحح التجارب المطبوعية، جان بول سارتر»، في مدونته «كتاب وقطط».

2013-2011

إقامة مزاد من نمط القطع المكافئ (المجازي) في كنيسة القديسة أبولونيا. الطريق السريع يقضي ليلته في «غرفة الأشباح». ويلتقي الكاتب الطامح يعقوب دي فوراجيني، ويقترح أن يكتب الأخير سيرة أنسانه الذاتية.

الطريق السريع يسترجع أنسانه.

نوفمبر 2011 متحف مانهاتن «غوغنهايم» يصفُ الفنان الإيطالي صاحب الترعة «الواقعية المفترطة» ماوريتزيو كاتيلان بأنه فنان استفزازي ومخادع أو جوكر.

مارس 2011 جريمة مقتل ابن الشاعر خافيير سيسيليا تؤدي إلى احتجاجات حاشدة في أرجاء المكسيك ضد أعمال العنف المتصلة بالمخدرات.

2011 مقالة معونة بـ «العقل الموسيقي» للكاتب الأرجنتيني ذي الإنتاج الغزير سيزر آيرا تظهر في مجلة ذا نيويوركر.

2012 خوليان هيربرت يحوز «جائزة حَيْن للرواية غير المنشورة» عن رواية السيرة الذاتية «أغنية القبر»، وهي تحكي عن موت والدته - وهي بائعة هوى سابقًا - بسرطان الدم.

2012 الشاعرة وكاتبة المقالات والمترجمة المكسيكية تيدي لوبيز ميل تنشر مجموعتها الشعرية «كتاب التفسيرات».

2013 رواية ألفارو إنريكيه «موت مفاجئ» تفوز بـ «جائزة هيرالد للرواية».

2013 سمة حمراء اسمها «أوبلو موف» تموتُ من نوع من الاكتئاب في مجموعة غوادالوبي نيتل القصصية القصيرة: «زواج السمة الحمراء».

2013

وفاة الطريق السريع في نُزُل بوينس دياز عقب إجراء مزاد علني مجازي في حانة «سر الليل».

2012 باولا أبراamo تنشر مجموعتها الشعرية «*Fiat Lux* / ليُكُن نور». مارس 2012 الفنان أوغو روندينون، المقيم في نيويورك، يقيم معرضًا يتضمن لوحات مادونا للرسام السويسري السريالي «هانس شি�غا» حيث استُبدلَت الأسنان في اللوحات بحصى صفراء اللون.

8 أبريل 2013 افتتحت مؤسسة / مجموعة خوميكس معرضها «*EI/.cazador y la fábrica*

2013 سك عملة معدنية من فئة اثنين يورو احتفالاً بالذكرى الـ 2400 لتأسيس الأكاديمية الأفلاطونية.

خاتمة

هذا الكتاب هو حصيلة تعاونٍ مُتعددٍ الأطراف. في شهر يناير من عام 2013 كُلِّفت بكتابة عمل من وحي الخيال من أجل بيان عن «الصياد والمصنوع»، وهو معرض فني برعاية وتنظيم ماغالي آريولا وخوان غايتان، في معرض خوميكس (Galería Jumex)، الكائن في حي إيكاتينيك المهمش الشبيه بالأراضي الفقير، خارج مدينة مكسيكو سيتي. كانت الفكرة من المعرض، ومن مهمتي، هي إعمال الفكر في الجسور -أو عدمها- التي تصل بين الأعمال الفنية، والمعرض، والبيئة الأوسع الذي شكل المعرض جزءاً منه.

تلتقي مجموعة خوميكس، وهي واحدة من أهم مجموعات الفن المعاصر في العالم، تلتقي تمويلها من مصنع العصير «جروبو خوميكس⁽¹⁾». ثمة فجوة، بالطبع، ما بين العالمين: المعرض الفني والمصنوع، الفنانين والأعمال، الأعمال الفنية والعصير. وتساءلت، كيف بإمكاني ربط العالمين البعيدين ولكن المجاورين، وهل يمكن للأدب أن يلعب دور الوسيط؟ واعتزمت الكتابة بطريقة عَرضية - بل مجازية - عن عالم الفن، والتركيز على الحياة في المصنع. كما أني قررت ألا أكتب كثيراً عن عمال المصنع، بل من أجلهم، مقتربة بذلك نهجاً يبدو مناسباً لتحقيق هذه الغاية.

في أواسط القرن التاسع عشر، ابتكرت في كوبا مهنة «قارئ التبغ» الغربية. تُعزى الفكرة إلى الصحافي والناشط المناهض للعبودية نيكولاس أسكاراتيه، الذي وضع الفكرة حيز التنفيذ في معمل للسجائر. بُغية التقليل

من الملل الناجم عن العمل المتكرر، يقرأ «قارئ التبغ» بصوت عالٍ على العمال الآخرين أثناء تصنيعهم للسجائر. كان إميل زولا وفيكتور هوغو من بين المفضلين للعمال، وإن كانت قد قرئت عليهم مجلّدات ضخمة من التاريخ الإسباني. امتدّت هذه المهنة إلى دول أخرى في أميركا اللاتينية، لكنها اختفت في القرن العشرين. ومع ذلك، ما يزال قراءة التبغ شائعاً في كوبا. في نفس الأونة تقريرياً التي ظهرت فيها هذه المهنة، ابتكرت أيضاً الرواية الحديثة المتسلسلة. في عام 1836 نُشرت رواية *بلزاك العانس* (*La Vieille Fille*) في فرنسا، ونُشر كتاب ديكتر «مذكرات بكيوك» في إنكلترا. وبالنظر إلى توزيعها في سلسلة كتيبات ميسورة التكلفة، فقد بلغت جمهوراً غير معتاد تقليدياً على قراءة القصص والروايات. أدركتُ أنه بإمكانني دمج هاتين الأداتين الأدبيتين اللتين أثبتتا ذات مرة كفاءتهما في سياقات لا تختلف كثيراً عن تلك التي كنتُ أواجهها. وفي سبيل إحياء عادات القراءة والنشر تلك، وبهدف التعليم منها أيضاً، انتويتُ كتابة رواية على دفعات، الجزء تلو الجزء، للعمال الذين سوف يتسلّى لهم فيما بعد قراءتها بصوت عالٍ في المصنع.

كان فريق خوميكس داعماً ومتحمساً، وعمد إلى تهيئة المكان والشروط الازمة للقيام بالقراءات. كتبَتُ الجزء الأول، الذي طبع في كتيبات بسيطة منخفضة التكلفة، ثمَّ وزّعتُ على العمال. أثارت الفكرة اهتمام عددٍ من العمال، وساعدت لوريانا مورينو، معاونة منسق المعرض، في تشكيل وإدارة نادي قراءة صغير صار يعقد كل أسبوع لقراءة النصوص ومناقشتها. بدأت بإرسال أجزاء جديدة أسبوعياً؛ وكان فريق العمل في مؤسسة خوميكس يطبع الكتيبات ويوزعها. بموافقةِ الجميع، سُجّلت جلسات القراءة ثم أرسلت إلى في نيويورك. كنتُ أستمع للتسجيلات، وأدوّن تعليقات العمال وانتقاداتهم، وبالأخص أحاديثهم العشوائية بعد القراءة والمناقشة. ثمَّ كنتُ بعد ذلك أكتب الدفعة التالية، وأرسلها إليهم، وهكذا. لم يروني قطّ، ولم أرهم. أنا سمعتهم، وهم قرؤوا إلي. ساعدني اثنان من أعضاء فريق خوميكس، وهما خافير ريفيرا وإل بيرو، في التقاط وجمع صور للأعمال الفنية والمعرض الفني والحيي، الأمر الذي أتاح لي، بصرياً على الأقل،

التنقل في الأماكن التي كنت أكتب عنها، واستكشافها. كانت الصيغة، لو أن هناك واحدة، شيئاً من هذا القبيل:

ديكترنر + MP3 ÷ بلزاك + JPEG

مع الجزء الأخير من الكتابات أرسلت إلى العمال أيضاً تسجيل MP3 بصوتي، شكر لهم فيه على وقتهم وإسهاماتهم. كنت أكتب تحت الاسم المستعار غوستافو سانشيز سانشيز، وفَكِرْتُ بأنّه من المهم إتمام دائرة الألفة والمؤانسة التي كنا قد أنسأناها، وذلك من خلال سماعهم صوتي الحقيقي. من المرجح أن رد فعلهم لدى سماع صوتي المتحدث كان شيئاً بِرَدْ فعلٍ، بعد شهور، عندما حضر اثنان من العمال إلى حفل إطلاق الكتاب في متحف «كاريوبي خيل للفنون» في مكسيكو سيتي. حينذاك استكمّلت الدائرة حقاً.

العديد من القصص الواردة في هذا الكتاب مبنية على حكايات العمال الشخصية؛ على الرغم من تعديل الأسماء والأمكنة والتفاصيل. المناقشات التي دارت بين العمال تحكمت في مجرى السرد أيضاً، ودفعوني للتفكير في أسئلة قديمة من منظور مُتجدد: كيف تكتسب القطع الفنية قيمة ليس داخل السوق المختصة بالاستهلاك الفني، فقط، ولكن (بشكل أو آخر) خارج حدود السوق البينية أيضاً؟ كيف يمكن أن يؤثر إقصاء التحفة الفنية أو اسمها من سياقها في المعرض أو المتحف أو من البانثيون (المجمع) الأدبي - إجراء دوشامبي⁽¹⁾ عكسي - على معناها وتأويلها؟ كيف يُيدلُّ الحوار، والسرد، والتوقعات الأدبية، أو الأسماء من الطريقة التي تستشعر بها العمل الفني أو النصوص الأدبية؟ وكانت نتيجة تلك الشواغل المشتركة هي هذه الرواية - البحث» الجماعي حول إنتاج القيمة والمعنى في الفن والأدب المعاصرين.

أودُّ شكرَ كثير من الأشخاص على مساهمتهم وتفانيهم، ولكن أكثر من

- 1 - الرسام والنحات ولاعب الشطرنج والكاتب الفرنسي مارسيل دوشامب (1887-1968) ارتبطت أعماله بالتكعيبة والدادائية والفن التصويري. وكان لعمله تأثير كبير في التحولات التي تعرضت لها الفنون التشكيلية المعاصرة، وشكلت انقلاباً على الجماليات التقليدية للفن في القرن العشرين.

أي أحد آخر، أودُّ أنأشكر عمال المصنع الذين قرؤوا هذه القصة وكتبوها معـي، بوجهـ ما: إيفلين آنخيليس كويتنا، أـبريل فيلاـنكـيث رومـيرـو، تـانيا غـارـسيـا مـونـتـالـفاـ، مـارـكـو آـنـتونـيـوـ بـيـلـلوـ، إـدـوارـدوـ غـونـزـالـيسـ، إـرـنـسـتـيـنـاـ مـارـتـينـيزـ، باـتـريـشـياـ مـيـنـديـزـ كـورـتـيـسـ، خـولـيوـ سـيـزـرـ بـيـلـارـدـيـهـ مـيـخـيـاـ، وـدـيفـيدـ لـيـونـ آـلـكاـلاـ.

وفي الخـاتـمـ، يـنـبـغـيـ القـولـ إنـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ قدـ تـغـيـرـتـ منـذـ الـأـجـزـاءـ الـأـوـلـىـ التيـ قـرـأـهـاـ العـمـالـ فـيـ المـصـنـعـ، وـحتـىـ هـذـهـ النـسـخـةـ النـهـائـيةـ منـ الـكتـابـ بـالـلـغـةـ الإـنـكـلـيـزـيةـ. فـيـ حـقـيقـةـ الـأـمـرـ، الـكتـابـ الإـسـبـانـيـ مـخـتـلـفـ أـيـضـاـ عنـ الـكتـابـ الإـنـكـلـيـزـيـ، كـمـاـ هوـ الـحـالـ معـ كـتـبـيـ السـابـقـةـ، التـيـ رـاجـعـتـهاـ وـأـعـدـتـ كـتابـتـهاـ بـالـإـنـكـلـيـزـيـةـ بـصـورـةـ شـامـلـةـ، لـدـرـجـةـ أـنـنـيـ أـفـضـلـ اـعـتـبـارـهـاـ إـصـدـارـاتـ أـكـثـرـ مـنـهـاـ تـرـجـمـاتـ. فـضـلـاـ عـنـ ذـلـكـ تـحـتـويـ هـذـهـ النـسـخـةـ الإـنـكـلـيـزـيةـ «ـكـتـبـيـاـ»ـ مـكـتـوبـاـ بـالـكـامـلـ بـقـلـمـ مـُـتـرـجـمـتـيـ السـيـدـةـ كـرـيـسـتـيـنـاـ مـاـكـسـوـيـنـيـ. إـنـ خـطـهـاـ الزـمـنـيـ لـهـوـ خـرـيـطةـ وـفـهـرـسـ وـمـسـرـدـ لـلـكـتـابـ، الـأـمـرـ الـذـيـ يـزـعـزـعـ الـقـولـ الـمـأـثـورـ وـالـمـتـقـادـمـ؛ـ حـوـلـ وـجـوـبـ اـحـتـجـابـ الـمـتـرـجـمـ، وـيـقـترـحـ نـمـطـاـ جـدـيـدـاـ لـلـتـعـاـمـلـ مـعـ الـتـرـجـمـةـ؛ـ فـهـوـ مـنـ جـهـةـ لـاـ يـعـتـمـدـ عـلـىـ تـقـرـيـبـ الـكـاتـبـ مـنـ الـقـارـئـ -ـ مـنـ خـلـالـ تـبـسيـطـ الـنـصـ الـمـتـرـجـمـ وـتـموـيـهـهـ -ـ وـلـاـ عـلـىـ تـقـرـيـبـ الـقـارـئـ مـنـ الـكـاتـبـ -ـ بـوـاسـطـةـ تـحـوـيـلـ الـنـصـ إـلـىـ نـوـعـ مـنـ «ـالـإـنـكـلـيـزـيـةـ الدـخـيـلـةـ»ـ. بـدـأـ هـذـاـ الـكـتـابـ ضـمـنـ إـطـارـ تـعاـونـيـ، وـأـحـبـ اـعـتـبـارـ الـأـمـرـ عـلـىـ أـنـهـ تـعاـونـ مـسـتـمـرـ، حـيـثـ كـلـ طـبـقـةـ جـدـيـدـةـ تـعـدـلـ الـمـحـتـوىـ بـأـكـملـهـ.

تنويه بالمصادر

تشتمل «قصة أسناني» على إشارات إلى كثيٍر من النصوص، فُسِّرت في معظم الحالات تفسيرًا خلاًقاً، أو أعيدت صياغتها، أو أنها خضعت لتعديل طفيف من خلال ترجمات متعددة. الصفحة رقم 9: غايوس سوتونيوس ترانكيلوس، اقتباس من «القياصرة الائنا عشر»، ترجمة روبرت غريفز، الصادر عن كتب بنغوين، سنة 1957. الصفحة رقم 12: اقتباس من كتاب أميركا، لصاحبه جان بودريار، بترجمة كرييس تيرنر، والصدر عن دار فيرسو، سنة 1989. الصفحة رقم 20: ثيربانتس. الصفحة رقم 22: ميشيل فوكو، مقتطف من «حياة رجال سيئي السمعة» فصل السلطة: أعمال فوكو الأساسية 1954-1984، المجلد الثالث، ترجمة روبرت هيرلي، الصادر عن نيو برس، 2001. الصفحة رقم 27: ميشيل دي مونتين، اقتباس من مقالته «عن التجربة». الصفحة رقم 30: تشارلز لامب، اقتباس من «حياة وسائل وكتابات تشارلز لامب»، المجلد الثاني.

الصفحة رقم 30: غلبرت كيث تشيسترتون، اقتباس من مقالة «اشتاء الأرض» ضمن كتاب «إخطارات ومناقشات» الصادر عن دود ميد وشركاه، 1911. الصفحة رقم 35: مارسيل بروست - «ذكريات أشياء مضت: طريق سوان»، ترجمة تشارلز كينيث سكوت مونكريف، والصدر عن هيوزي بولت، 1922.

الصفحة رقم 45: دانييل خارمس، اقتباس من «اليوم لم أكتب شيئاً: الكتابات المختارة»، دانييل خارمس. آرديس للنشر، 2007. الصفحة رقم 51: مستوحى من سطٍر لشكسبير في «جعجة ولا طحن» أو «كثير من اللعنة

حول لا شيء». الصفحة رقم 60: مستوحة من أقوال فينيس لومباردي، ثيربانتس، وحكم وأقوال لاتينية وصينية وإسبانية غير منسوبة لأحد. الصفحة رقم 73: اقتباسٌ مستندٌ إلى مقتطفات من «أطروحتات حول فلسفة التاريخ» لوالتر بنiamين من كتاب إضاءات. دار نشر شوكن، 1968.

مكتبة سورا من قرأ

مكتبة
t.me/soramnqraa